



المكتبة العامة لندوة العلماء
مكتبة العلامة شمس الدين محمد بن عبد الوهاب
شعبة العلماء - مكتبة الندوة الهندية

نمبر	نام كتاب	نام مصنف
۸۸۲۱ ۱۵۱۹۵۵	البدع الاصلية	سيد الاعظمي الندوي
فن جرائد	شهبان رحمان ۱۴۲۲هـ	دستخط

٨٨٢١
١٤١٩٥٥

١٤١٩



البيت الإسلامي

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

العدد الأول
مجلة إسلامية شهرية جامعة
شعبان، رمضان ١٤٢٢ هـ

في هذا العدد

دور العدل والاحسان في بناء المجتمع
العلوم الانسانية ووضعها في العالم اليوم
أبعاد المؤامرة ضد الاسلام دقيقة وعميقة
ضوابط أخلاقية تحمي العمل الاسلامي المعاصر
حب الوطن من الايمان
الامانة والامة المسلمة الواحدة
جمال البناء وموقفه من السنة
تخريج حديث "التقوا فراسة المؤمن"
الترخيص الذاتي للقتل
التدخين وأثره الضار على الفرد والمجتمع





٨٨٢١
١٤١٩٥٥



أنشأها :

فقيه الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسن بن رحمه الله تعالى -

في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العقد الأول

شعبان
و رمضان ١٤٢٢هـ
أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠١م

المجلد السابع
وأربعون

رقاسة التحرير :

سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص ، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حياة نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجدد ، فيجب أن يتناول الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر ، وأن يزداد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، وحاجات المسلمين وأحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسيني الندوي)
(رحمه الله)

البرقيات

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

البرقيات

البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكانا
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى
على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من
الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، وفي
مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة :
"البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن
يكرمنا بالتأييد الدائم ، وبروح من
الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه
الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع
متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها
المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم
وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشينته
استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية
في المجلة كما يراها ويسر بها القارئ
الكريم ، ولا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة
قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و
الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل
أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم
المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد
فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي
نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى
التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي
تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا
على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل



الإشتراكات السنوية

في الهند :
ماتاروبية ٢٠٠/٠٠
ثمان النسخة : ٢٠٠/٠٠ روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولارا بالبريد العادي
و
٤٠/دولارا بالبريد الجوي
☆☆☆

عنقود البرقيات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالمعقود التالي

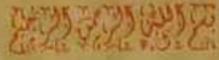
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكانا (الهند)
☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

نذرة المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها

٨٨٢١
١٣١٩٥٥



الإسلام
٧٢٤٥٤

ج ١

أبعاد الموازنة ضد الإسلام دقيقة وعميقة !

تقتل المعسكرات القوية في العالم اليوم ، شرقاً وغرباً ضد الإسلام ، تساعدها في تحقيق هذه الخطة الحركات الهدامة كلها ، وهي وإن كانت تختلف في مصالحتها السياسية ، ونظراتها العلمية ، وفلسفاتها الحضارية ، ولكنها تتحد في نسج خيوط المؤامرات ضد الصحة الإسلامية ، هناك سعي حثيث لإحباط مساعي المؤسسات الإسلامية في مجال الدعوة والفكر ، وإخراج هيبة الشريعة الإسلامية من القلوب ، والعبث بها بجمع الوسائل المتوافرة لدى زعماء هذه الجهات المعادية ، الذين لا يدخرون اليوم وسعاً في القضاء على ما يدعى بالروح الإيمانية ، والغيرة على شريعة الله الخالدة .

ولما تأكد لديهم أن الإسلام يحث على العلم بجميع أنواعه ، ويعتبره العنصر الأساسي في بناء الحضارة الإنسانية ، والمنظومة الاجتماعية المتكاملة ، وعلموا أن علماء المسلمين ، هم الذين أيقظوا أوروبا من سباتها ، وأثاروا في أبنائها روح العلم ، والحرص على الانضمام إلى صفوف الأمم المتحضرة ، وتقليد المسلمين الذي أضفوا على العالم الأوروبي لون الحضارة الإنسانية ، وعلموا الناس فيه طريقة العيش ، والتقدم في مجالات الحياة المختلفة ، لما تأكد ذلك لدى زعماء أوروبا أنكروا هذا الجميل الذي أسدى به المسلمون إليها ، فاستخدموا سلاح العلم والثقافة نفسه لإبعاد المسلمين عن منابع العلوم والحكمة ، والعودة بهم إلى ساحة الجهل والامية ، وتجريدتهم عن

فهي هذا العمدة

الافتتاحية

٣ سعيد الأعظمي الندوي
* أبعاد الموازنة ضد الإسلام دقيقة وعميقة !

التوجيه الإسلامي

٤ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي (رحمه الله تعالى)
١٢ د/عبد الحليم عويس
٢٠ فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي
* دور العدل والإحسان في بناء المجتمع
* ضوابط أخلاقية تحمي العمل الإسلامي المعاصر
* العلوم الإنسانية ووضعيتها في العالم اليوم

سماحة العلامة الشيخ

الدعوة الإسلامية

٢٨ د/محمد بن سعد الشويعر
٣٧ د/عدنان علي رضا النحوي
٤٥ الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
* "حب الوطن من الإيمان"
* الأمانة والأمة المسلمة الواحدة
* دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية

دورات في السنة

٥٦ د/محمد أبو الليث خير آبادي
٦٤ الأستاذ محمد زاهي
* جمال البناء وموقفه من السنة
* تخريج الحديث : "اتقوا فراسة المؤمن"

النقطة الإسلامية

٧١ الأستاذ محمد فهمي أختر الندوي
٨٢ د/محمد السيد علي بلاسي
* المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة
* التدخين .. وأثره الضار على الفرد والمجتمع

صور و أوضاع

٨٧ الأستاذ واضح رشيد الحسيني الندوي
* الترخيص الذاتي للقتل
* مأساة إنسانية في التاريخ الشيعي

٩١ الأستاذ أنيس الجشتي (فونا)

جديدة الشمس

٩٨ د/عدنان علي رضا النحوي

إصدارات جديدة

٩٩ التحرير

إلى رحمة الله تعالى

١٠٠ التحرير

* من قصيدة نيرة الأقصى

* "حياة مفكر الإسلام"

* أمهات صالحات - في ذمة الله تعالى -

لباس المعارف الإيمانية التي بوأتهم منصب القيادة في جميع مناحي الحياة ، ومنها إلى القيادة العالمية ، والتاريخ يزخر بذكر هذه الإجراءات المعادية التي ظهرت منهم يوم صمموا على إخراج المسلمين من أرض الأندلس ، وطمس المعالم الحضارية التي أثبتوها في هذا القطر الأوربي ، وذلك بالرغم من أن القيادة الإسلامية في الأندلس هي التي أخرجتهم من الوحشية إلى الحضارة ، ومن الأمية السائدة إلى العلم والحكمة ، وهذا أول ما سجله قلم التاريخ من نكران وكفران بل وأحقاد وأصغان تكنها صدور قوم منكبين ضد من أحسن إليهم .

ولكن المؤامرة لم تنته إلى هذا الحد ، وإنما تمثلت في صور مختلفة ، ولا سيما في الحروب الصليبية التي كانت أوربا ابن بجدتها ، وحاولت عن طريقها السيطرة على العالم الإسلامي ، وما فيه من المقدسات ، والخيرات مع قمع جميع القوى والطاقات التي يمتلكها المسلمون بحكم من دينهم وحضارتهم الإسلامية ، وإماتة الروح الإيمانية التي تدفعهم إلى أداء دور العمل الاستشهادي ، والجهاد في سبيل الله ، انتصر الإسلام في هذه الظروف ، الذي كان فيها الخصم الوحيد بإزاء النصرانية الصليبية التي أضمرت أحقاداً طويلة المدى على الإسلام ، وقادته وأتباعه المسلمين ، واستهدفتهم لدى كل مناسبة سنحت لها في أي فترة من التاريخ ، ولم تبخل بتدبير مؤامرة تنال من خصائصهم ، وتميزاتهم الإسلامية .

ومن خلال المناهج التعليمية تبينت السموم التي دُست في العسل ، وقد وقع فريستها شبابنا المسلم الذي استهوته المنح التعليمية في الجامعات الغربية ، فالتحق بها وتخرج منها معجباً بها ، ومثيلاً عليها ، ومستهنياً بالمناهج الإسلامية ، وفلسفة التعليم الإسلامي التي اعتقدتها خبراء التعليم في العالم الإسلامي ، وتبنتها المؤسسات الإسلامية في كل مكان ، لم يكن الهدف المتوخى من ذلك إلا تجريد الشباب عن جميع مؤشرات الحضارة الإسلامية ، وقلب ماهيته ، فذلك هو الشباب المثقف الذي يتسلم زمام الحكم في بلده ، ويأخذ الناس على طريقته وفكره ، ومن ثم يعمل لحساب سادته ، ويرى إلى نظام التعليم والتربية الإسلامي من خلال منظار الغرب الحاقداً .

هذا ، وقد تجاوز الغزو الفكري إلى سدة الحكم والسياسة ، والاجتماع والاقتصاد ، فجاءت قرارات تهدد بمقاطعة الدول والأقطار التي لا تخضع أمام سياسة القوى العظمى ، ولا تعترف بعالميتها ، وبالتالي قيادتها في جميع مجالات الحياة ، من غير أن يحول دون ذلك شئ من النواميس الدينية ، والأحكام الشرعية بالنسبة إلى الشعب المسلم الذي لا يزال على فطرة الدين ، ولا يرضى بالمداهنة و المساومة على أي مستوى ، وبأي ثمن ، فكانت النتيجة ما قد شهده العالم في بوسنيا والمهرسك ، وكوسوفا ، من المجازر الرهيبة التي تقشعر الجلود من مجرد سماعها ، فضلاً عن رؤية مناظرها التي لا تحملها القلوب البشرية .

وما يجري في فلسطين المسلمة منذ عام ، من عمليات التصفية الجسدية ، وأدوار القتل والفتك والتدمير والتحريق والتشريد من غير هوادة ولا تمييز بين الرجال والنساء ، والشيوخ ، والشباب والأطفال ، ليس ذلك إلا تنفيذاً لسياسة اليهودية العالمية التي صنعت الكيان الصهيوني لطرد المسلمين من فلسطين ، وغصب ممتلكاتهم والفتك بأرواحهم ، وتصفية وجودهم من الأراضي المقدسة ، ولولا الدوافع الإيمانية التي تدفع الشباب المؤمن ، نحو مقاومة العدوان والظلم ، ومواجهة الإجراءات القمعية بجنة من الصبر والإيمان ، ولولا الثقة بالنصر والفتح المبين ، لكان هذا البلد المقدس قد تحول إلى قاعدة انطلاق اليهودية العالمية ، ومركزها الرئيس بكامله ، ولم يكن للشعب المؤمن الباسل ، الشعب الفلسطيني أي أثر ، ولكن الله سبحانه خلد هذا الشعب المتميز ، وجعله أميناً يحمي أمانة الرسالة من مسرى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولا يبالي في سبيل ذلك بأي عائق أو عقاب .

يتصاعد تيار الخوف من الصحوة الإسلامية التي تحرق الحواجب كلها ، وتلامس أوتار القلوب ، وتشحنها بشحنة الحنين إلى الإسلام ، و رؤية المجتمع الإسلامي ، وتجربة الحياة الإسلامية حتى إن كثيراً من البلدان التي فيها الأقليات المسلمة قد أدركت مدى تأثير هذه الصحوة فقامت بإعدادات عسكرية ضخمة لمقاومتها ، وتصفية رجالها من الدعاة والعلماء

والقادة ، وبالتالي القضاء على جميع الحركات الإسلامية التي تؤدي أمانة الكلمة ، وتبلغ رسالة الإسلام إلى الناس ، وقد ظهرت هناك تصميمات دقيقة لبث الذعر والخوف بين أوساط الأسر المسلمة ، وقتل أفرادها بوحشية وضرارة بالفتن ، وإقامة مجازر في المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون . وقد تمثلت في الصين الشيوعية نماذج من هذا النوع ، حيث أصبح تعليم القرآن والإسلام جريمة كبرى لا تغتفر ، وقد نقلت إلينا صحيفة : "رسالة الإخوان" قراراً رسمياً حول تعليم الدين الإسلامي في تركستان الشرقية ، وفرض العقاب على أمام المسجد الذي كان يعلم الشباب في منزله تعاليم الدين الحنيف ، وفي هذا القرار البغيض من المؤشرات الكافية ما يبرهن على الخوف الشديد من الإسلام، الذي يساور النفوس ، ويملاً القلوب قلقاً واضطراباً لا مثيل لهما، وهذا نص القرار :

"أصدرت السلطات الصينية المحلية في مدينة : "لوب" بتركستان الشرقية مؤخراً قراراً تحت رقم/١٤١ هـ ج ، ونصه كالتالي : "بعد المراقبة والتحقيق داهمت الشرطة المحلية منزل إمام مسجد لقرية "قغزئرق" المدعو أمير عبد الله ، فوجدته يدرس لسته من الشباب تعاليم الدين الإسلامي "غير المشروع" ، ومع أن المذكور معترف به من قبل الحكومة كإمام المسجد ، فإن إقدامه على جمع الشباب في بيته ، و تدريسهم الدين أربع سنوات بدون علم الحكومة عمل شنيع ، وغدر وخيانة للحكومة الشيوعية ، الحكومة لن تسمح لأي كان بتعليم الدين الإسلامي ، لأنه إذا أفلت المسلمون بهذا الشكل ، فسوف يربون أبناءهم ضد الحزب الشيوعي ، ويطالبون بالانفصال عن الصين .. لذلك ، فقد صدر بحق الإمام والطلاب وأولياء أمورهم ، القرار التالي :

١- مصادرة أجهزة المدرسة السرية من الكتب والفرش والكراسي والأدوات المتعلقة بالتدريس .

٢- تغريم المدعو أمير عبد الله غرامة مالية وقدرها ٨٠٠٠/يوان صيني ، نحو : (١٠٠٠/دولار أمريكي) لتأسيسه مدرسة دينية .

٣- تغريم الشباب الستة الذين تم إلقاء القبض عليهم ، وهم يدرسون ، غرامة كل واحد منهم ٥٠٠/يوان صيني ، نحو : (١٥٠/دولاراً أمريكياً) ، وتغريم أولياء أمورهم كل واحد منهم ٥٠٠/يوان صيني ، أما الطلاب الغائبون عند المداخلة ، وعددهم ١٩/طالباً ، فيغرم كل واحد منهم ٢٠٠/يوان صيني ، ويؤخذ تعهد أولياء أمورهم بعدم إرسال أبنائهم لمدارس دينية مع تحذيرهم من العواقب .

٤- يؤخذ تعهد من المدعو أمير عبد الله ألا يعود لجمع الشباب وتعليمهم الدين .

٥- نحن مسئولون مدينة : "لوب" علينا أن نهتم بتوعية الناس بالسياسات الدينية للحزب الشيوعي ، وعدم السماح لأي واحد من المسلمين بالتجروؤ لتدريس أبنائهم في المدارس الدينية المخالفة لقوانين الدولة .

هذه حقائق معدودة تتراءى للناظر طافية على السطح ، لا يكتنفها غموض ولا سرية ، ولكن هناك تأمرات خفية وملفات سرية تتبادلها ، وتناقش فيها دول العالم التي يسيطر عليها العقل اليهودي ضد الإسلام والمسلمين ، وهي في الواقع مؤامرات تتعمق جذورها وتساندها الشراكة المعادية التي تقوم بالجمع بين الشرق والغرب ، ولا تفرق بين اليهودية والصليبية ، وبين الاشتراكية والإمبريالية ، والديموقراطية العلمانية ، والرأسمالية المفضوحة ، وبين عباد الأصنام وبنوك الأموال ، هكذا تتألب جميع هذه القوى الحاقدة على الإسلام ، وتبلغ أبعاد مؤامراتها إلى مدى لا يعلمه إلا الله .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ومكروا ومكر الله * والله خير الماكرين ﴾ ، ويقول : ﴿ إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهمل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ .

وصدق الله العلي العظيم

سعيد الاعظمي

١٤٢٢/٤/٢٩هـ

دور العدل و الإحسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 رَحْمَةً بِنَاءِ الْجَمْعِ
 كَمَا نَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي (رحمه الله) (*)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ * وَإِيتَاءِ صِدْقِ الْقُرْبَى *
 وَبِقَوْلِ عَنِ الْعَتَقَاءِ * وَالْمُتَكْرِمِينَ * وَالْبَنَاتِ * بَعْضِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَصَافُونَ ﴾
 [سورة النحل ، الآية : ٩٠]

إن هذه الآية الكريمة المباركة جزء من خطبة الجمعة ، يرددها الخطيب ، ويستمع إليها المصلون كل جمعة باستمرار ، نحن لا نهتم بالتزوي والتدبر في الخطبة ، وكل ما يقرأ أثناء الصلوات باللغة العربية من الآيات القرآنية الكريمة ، وذلك لأننا ليس لدينا أي إمام باللغة العربية ، بل نعد هذه الخطبة ، وكل ما يقرأ ويتلى في الصلوات من السور القرآنية ، ووظيفة من وظائف العبادة ، ولا نشعر بالحاجة إلى التفكير والتدبر ، فيما يقرأ في الخطبة أو يتلى في الصلاة من درس ورسالة ، هذه الآية الكريمة هي في الواقع بمثابة دستور كامل ، ونظام شامل (Manifesto) للحياة كلها ، وتحمل توجيهاً ، وإرشاداً في طياتها ، إن الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل والإحسان مطلقاً ، ولكنه عزوجل لا يصرح بمن يستحق العدل والإحسان ، فمن هنالك يتوجب على كل فرد من أفراد البشر أن يقوم بالعدل والإحسان ،

(١) هذا المقال نقله من الأردنية إلى العربية - الأخ الفاضل محمد وثيق الندوي .

والبر والخير ، وعند ذكر الأخذ والعطاء يأتي فيه بشئ من التخصيص ، ويقول : ﴿ وإيتاء ذي القربى ﴾ ، ولكن هذه القرابة لا تتصل ولا تخصص بالدم فقط ، حتى يكون مصداقها أبناء الأعمام والأخوال والأولاد ، بل يندرج في هذه القرابة جميع من لهم علاقة بالقربى ، ومنها قرابة ذوى الأرحام ، وقرابة الجيران ، وقرابة المواطنين ، وقرابة الزمالة في المهنة والعمل ، وقد ورد ذكر ذلك في موضع آخر من القرآن بشئ من التفصيل ، ويعني ذلك أن القرابة ليست قرابة الأرحام فقط ، بل تعم جميع القرابات والأواصر والعلاقات .

ثم ينهى الله تبارك عن الأعمال المنكرة ، وقول الفحش والكلام البذيئ والبغي ، ويعظكم لعلكم تذكرون .

أما العدل للعدل ، والعدل اتباعاً لأوامر الله عزوجل ، أو اعترافاً بحق إنسان ، أو إذعائاً لواقع ، والعدل الخايد ، فمن الصعب جداً العمل به ، ولا يستعد لهذا العدل إلا عباد الله الصالحون الذين يخشون الله ، ويحترمون الإنسانية ، ولا يخافون لومة لائم في أمر الله جل شأنه ، والذين يعتبرون أن الخلق كلهم عيال الله ، كما ورد في الحديث النبوي الشريف : "الخلق عيال الله" ، وهذا القول الأخير ينتمي إلى الدين الذي لا يحتمل أي إساءة إلى عقيدة التوحيد ، وإنكم تعرفون معرفة جيدة أن كل ما يمس عقيدة التوحيد ليس مرضياً في الإسلام ، حتى إن الوتر في الأعداد مرضي عند الله تعالى ، وأن الدين الذي بلغ الغاية في الحساسية (Sensitive) بشأن عقيدة التوحيد ، يقول : "الخلق عيال الله" ما أبلغ هذا القول ! وثالث القرآن الكريم يشمل بيان عقيدة التوحيد ، وورد في الحديث الشريف : سورة الإخلاص ثلاث القرآن الكريم ، جاء فيها : ﴿ قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ *

وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿﴾
والإسلام الذي وصف سورة الإخلاص بأنها قلب القرآن وثقله ،
اعتبر الخلق كلهم عيال الله بصرف النظر عن انتماءاتهم القبلية ، أو الدينية ،
أو السلالية ، وما إليها من لون ، و دم ، و وطن .
فأي الخلق أحب إلى الله ؟ ولا يكون أحب إليه من يكون أكثر
عبادة أو لهجاً بذكر الله ، بل يكون أحب الخلق إليه من يكون أكثر نفعاً
لعياله ، فإذا كان قد جاء هذا التصريح بكون الخلق كلهم عيال الله ، من
ديانة أخرى غير دين الإسلام لكان ذلك مستاغاً لدى العقل ، ولكن الذي
يبعث على العجب أن هذا التصريح ، جاء من الدين الذي هو في غاية من
الحس المرهف بخصوص عقيدة التوحيد ، ولا يعادله في ذلك دين آخر ،
وهو الذي يقول : إن الخلق كلهم عيال الله ، فهذا آخر ما يمكن أن يقال
بهذا الخصوص ، ولم يبق هناك مجال للكلام فيه ، ولم يخص الله العدل
والإحسان بشخص دون شخص ، بل يعم الناس بدون تفریق بينهم ، مثل :
ماء المطر الصافي النقي ، النازل من السماء الذي يعم الناس جميعاً ، وإذا
ألقي هذا الماء في قنينة ملونة يبدو الماء للناظر إليه أنه ملون ، و لم يكن ملوناً
عند نزوله من السماء إلى الأرض ، هكذا يكون العدل و الإحسان خالياً من
أي لون ، غير أن العادل إذا كان مسلماً ، سمي : عادلاً مسلماً ، وإن كان
العادل غير مسلم ، سمي : عادلاً غير مسلم ، فالمسلم وغيره بمنزلة اللون
للقارورة ، ولكن العدل ليس له لون ، إنه بلا لون ، ويبقى بلا لون ،
وينبغي له أن يكون كذلك دائماً :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، هذا حكم عام ، ولم يرد في
القرآن الكريم : أن الله يأمر بالعدل مع المسلمين ، إن الله يأمر بالإحسان

إلى المسلمين ، كما جاء : الحمد لله رب العالمين ، ولم يأت ولم يرد رب
المسلمين ، رب اليهود ، رب النصارى ، رب العرب ، رب العجم ، فعمم
العدل والإحسان ، رب العالمين ، الذي هو رب الكواكب والقمر ،
والشمس ، والمجرة ، و النظام الشمسي كله ، و رب القارات ، والنباتات ،
والحيوانات ، وإن هذا العدل ليس لأمة ، أو وطن ، أو عائلة ، ولكنه عدل
عام ، كما أشير إلى العموم والشمول في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ .

وجاء في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنَ
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا * إِعْدِلُوا * هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

اعلموا ! أنه يجب أن يعم العدل والإحسان ، وأمرنا الله أن لا
نفرق بين أحد من أفراد النوع البشري في العدل والإحسان ، ولا نؤثر
أحداً على آخر في امتثال أمر العدل على اختلاف انتماءاتنا ، و أوطاننا ، و
أدياننا ، يأمرنا الله بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ أن نتبنى
مبدأ العدل ، ونتخذ الإحسان لنا شعاراً ، العدل هو أن يوفى الحق الذي
يجب أداءه إيفاءً كاملاً .

كما أن الإحسان هو أن نحسن إلى من أساء إلينا ، وأن نعدل لمن
جاء إلينا يطلب العدل ويحتاج إليه ، ففي هذا الأمر الرباني توجيه وإرشاد
إلى المبادئ الأخلاقية ، والسلوكيات السامية التي لا يستغنى عنها المجتمع
البشري الأفضل في أي زمان وجيل ، وفي أي عصر ومصر .

وَأَلِّفُوا بَيْنَهُمْ مَوَدَّةَ بَيْنِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

شاعت أمراض اللسان التي تكب الناس على وجوههم في النار من الغيبة ،
و النميمة ، والتشهير بإخوان العقيدة ، وعدم الميل إلى ستر أخطائهم
البشرية ، بل تضخيمها حتى تكاد تغطي على مساحة حسناتهم ، مع أنه
لا معصوم في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والأدهى من ذلك أن كثيراً من الجماعات الإسلامية يشتغل بعضها
بثلب الآخرين ، والانتقاص من جهودهم ، والتشهير بهم بدعوى النصح -
مما يؤدي إلى نتائج عكسية ، مع أن الجماعات الإسلامية المنتشرة في العالم لو
عمدت إلى نقد ذاتها ، والتماس الأعذار لغيرها ، والتواضع لهم ، وتبصيرهم
بالحسنى ، وبدون تشهير لكان ذلك أجدى وأنفع لها وللجميع .
ولو أن الأرضية المشتركة كانت واضحة في أذهان العاملين للإسلام
لاختفت هذه المعارك الجانبية ، ولتحقق الصفاء القلبي ، ولسادت الأخلاق
الإسلامية .. أخلاق العفو والرحمة .

فكل العاملين للإسلام يشتركون في وحدة المصدر ، وهو كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويشتركون في وحدة العقيدة ، وهي التوحيد
الخالص القائم على الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد ، ويشتركون في
الإيمان ، بملائكته وكتبه ورسوله ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والإيمان
بالقضاء والقدر خيره وشره .

ويشتركون في وحدة الغاية والهدف ، فجميعهم يسعون إلى إقامة
الإسلام في حياة المسلمين ، ونشر كلمة الله في الدنيا .
ويشتركون في وحدة التحديات والأعداء من وثنيين ، ويهود ،
وصليبيين ، وعلمانيين ، وماديين .. كما أن الأعداء - كذلك - لا يفرقون
بينهم .

و كل هذه العوامل وغيرها من شعب الإيمان المتفق عليها ، والتي لا

ضوابط أخلاقية تحمي العمل الإسلامي المعاصر

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
(مفكر إسلامي - مصر)

تؤكد - انطلاقاً من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - ضرورة
إعادة الأخلاق إلى مكانتها في حياتنا وأعمالنا ، فهي السياج الذي يحمي
فقهنا وعلمنا وحركتنا ، ويوجه كل ذلك إلى أفضل السبل وأطيب النتائج .
فالعلم الإسلامي الشرعي ، والعلم الدنيوي الإسلامي ، والعمل في
حقل الدعوة الإسلامية ، وفي عمارة الدنيا .. كل ذلك لن يحقق أهدافه ،
ولن يصبح رحمة للمجتمع ، إلا إذا قام على طهارة معنوية ، فانبعث العلم
والسلوك من قلب نقي طاهر يمتلئ بالحب والرحمة والصدق .. وسادت
جوانبه أخلاق كريمة ورحمة بالناس في الظاهر والباطن .

وفي بقيني أن أهم ما يجب أن يقوم به المخلصون للأمة الإسلامية
الحريصون على نهضتها أن يجاهدوا في سبيل عودة الأخلاق الإسلامية ،
وعودة الحب والطهارة القلبية إلى المجتمع الإسلامي .

وإذا كان جمهور الأمة في حاجة إلى هذا ، فإن الدعاة والعلماء ،
والشباب المسلم الغيور أولى بذلك ، وهم القدوة الذين ينظر الناس إلى
أعمالهم قبل أن ينظروا إلى أقوالهم : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ * أَنْ تَقُولُوا : مَا لَا
تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف/٣] ، وقد سادت في العصر الحديث جرأة من الصغار على
الكبار ، ومن الجهلاء على العلماء ، كما شاعت الأمراض القلبية من الحسد ،
والبغضاء ، والحقد ، والبحث عن العورات ، وتضخيم الصغائر ، كما

يستطيع مسلم أن ينكرها ، وهي في نحو ثمان وسبعين شعبة - تجعل الأرضية المشتركة للعمل الإسلامي ، وللأمة المسلمة أقوى أرضية تتوافر لأصحاب عقيدة في الدنيا .. وللأسف فإن أصحاب العقائد الأخرى الذين لا يتمتعون بنسبة ضئيلة من عوامل الالتقاء التي تجمع الأمة الإسلامية -- يتحدون ويقيمون الخطط ، و البرامج ، والأسواق ، والنظم للالتقاء والتوحد ؛ بينما يعتمد بعض المسلمين - تحت دعاوى مختلفة - إلى التركيز على الفرعيات التي تنشر الخلافات ، وتؤجج الأحقاد بين المسلمين .

وقد ظهرت محاولات كثيرة لمقاومة هذا المنزع الخطير ، كما انتشرت كتب كبيرة ، و رسائل صغيرة تتألق حباً وغيرةً وأخلاقاً ، داعيةً هذه الجموع الشاردة إلى الطريق الصحيح .. طريق الأخوة الإسلامية ، والحب في الله ، والوحدة الفكرية ، والقلبية ، والالتزام بالضوابط في تقويم الأفراد والجماعات ، والفقهاء الصحيح بمنهج الدعوة والتغيير .

وكل هذه البحوث تركز على عوامل الالتقاء ، وتضع الحلول الإسلامية الرشيدة لتوجيه نواحي الاختلاف توجيهاً حضارياً ، وأخلاقياً بناءً .. فإن تعدد الآراء ، وتعدد الاجتهادات ، وتعدد الجماعات يمكن أن يصبح مصدر قوة للمسلمين إذا التزمت الأخلاق ، والضوابط الإسلامية في التقويم ، وإذا رتبت الأولويات في عقل المسلم وسلوكه .

وقد وضع الداعية الدكتور (زيد بن عبد الكريم الزيد) في رسالة قيمة وجيزة (١) خمسة ضوابط منهجية وأخلاقية جديدة بالاعتبار في تقويم الجماعات الإسلامية ، و نأمل أن يوفقه الله لبسطها في كتاب كبير

(١) ضوابط رابسة في تقويم الجماعات الإسلامية ، نشر دار العاصمة ، الطبعة الأولى

- إن شاء الله - ، وهذه الضوابط ، هي :

- ١- المرجع الأول لكل اختلاف كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .
- ٢- الاعتماد في التقويم على نصوص الجماعة ، وأنظمتها ، لا على أقوال المنتسبين إليها .
- ٣- لا تتعرض للنقد إلا إذا كان يحقق مصلحة راجحة .
- ٤- بيان الحق دون التعرض للمخطئ .
- ٥- العدل في النقد بذكر الحسنات والسيئات .

أما الدكتور الفاضل محمد أبو الفتح البيانوني (١) ، فقد اجتهد اجتهاداً ميدانياً تطبيقياً من خلال معاناته الدعوية ، فرصد عشرة ضوابط (أخلاقية) رأى أنها كفيلة بتحقيق الارتباط القلبي والأخلاقي ، والمصلحة العملية بين العاملين للإسلام .. والضوابط التي انتهى إليها ، هي :

- ١- تسليم جميع الأطراف المتعاونة بمبدأ تعدد الجماعات الإسلامية .
- ٢- احترام كل طرف من الأطراف للآخر ، واعتبار الطرف الآخر عوناً له على أداء مهمته ، وشريكاً له في المسئولية ، والابتعاد عن سوء الظن بالآخرين المخالفين في الاجتهاد .
- ٣- اعتراف كل طرف للأطراف الأخرى بفضلها ، وتقدير جهودها مهما قلت .
- ٤- التحرر من العقلية الحزبية ، والعصية المقيتة ، وعدم تعالي طرف على آخر بدعوى شمول ، أو سبق زمن ، أو كثرة عدد .
- ٥- التناصح بين الأطراف والاستفادة من تجارب الآخرين حتى لا

(١) وحدة العمل الإسلامي بين الأمل والواقع : ص/٨٣ وما بعدها ، نشر عمان ،

- تكرر الأخطاء .
- ٦- الحرص على النقد الذاتي داخل الجماعة ، واتهام نفسها بالضعف والخطأ ، وعدم اعتقاد كل جماعة في نفسها الكمال والعصمة .
- ٧- اعتماد الشورى الشرعية في بحث الأمور ومعالجتها ، واتخاذ القرارات تجاهها .
- ٨- التعاون فيما يتفق عليه ، والإعذار في مواطن الاختلاف التي يجوز فيها الاجتهاد .
- ٩- الالتزام بوضوح العلاقة بين الأطراف ، والابتعاد عن أسلوب المحاور الجانية ، والمناورات السياسية .
- ١٠- وضع نظام داخلي يضبط الأمور ، وينظم العلاقات ، تتفق عليه الأطراف المتعاونة ، ويلتزمون بتطبيقه .
- أما العلامة (مالك بن نبي) (١) فقد دعا إلى بناء ثقافي إسلامي للمسلم المعاصر يعتمد ابتداءً على التوجيه الروحي والأخلاقي للثقافة ، بهدف تكوين صلات اجتماعية منسجمة ذات نظرة أخلاقية متميزة للحياة و الكون .
- وهو يرى أن منظومة العالم الروحي التي تستطيع أن ترتقى بفعالية الفرد والمجتمع إلى مستوى العطاء النموذجي لا بد أن تركز على عدة محاور أساس ، هي :

١- محور الإخلاص الذي يتكفل بتجريد نية المسلم وقصده لله وحده .

(١) انظر - بتصرف - الطيب برغوث : موقع المسألة الثقافية من استراتيجيات التجديد الحضاري عند مالك بن نبي : ص/٢٠ وما بعدها ، نشر دار الينابيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

- ٢- محور المراقبة التي تفرض الاستشعار بحضور الله الدائم في حياتنا .
- ٣- محور المحاسبة للنفس دفعاً لها إلى تصويب الخطأ .
- ٤- محور التوبة الذي يتكفل بفتح الطريق أمام الفرد للعودة إلى توازنه النفسي والاجتماعي .
- ٥- محور التوكل الذي يعنى تفويض الأمر لله ، والثقة فيه ، وطلب العون منه .

٦- محور الارتقاء بالسلوك الإنساني كهدف محوري لحركة البناء الحضاري (عملياً وجمالياً ، وطموحاً فردياً ، وانسجاماً اجتماعياً) .

وفي كتابه (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين) عالج الشيخ محمد الغزالي الآثار الأخلاقية في مجال الحياة بعامة ، والدعوة بخاصة ، وكان مما نبه إليه الشيخ الغزالي في رصده لأبرز صور التفكك بين المسلمين ضرورة التركيز على علاج أمراض النفوس والقلوب ؛ فإن المعاصي البدنية شهوات محدودة الخطر - على قبحها وسوء مغبتها - فالإسراف في الطعام مثلاً ، يسلب المرء غفته ، وربما كانت للبدن تطلعات أشد ضراوة ومع ذلك ، فهي أدنى من جنون العظمة أو عبادة الذات التي تقود إلى الفرعنة ، وقسوة القلب ، وإهلاك الحرث والنسل في سبيل المجد الشخصي !!

إن الشعوب دفعت الألوף المؤلفة من أرواح بينها ، والقناطير المقنطرة من كسبها وكدها ، لتلبي طموح زعيم مغرور أو رئيس مغامر ، مُقل في مواهبه الرفيعة أكثر في مطامعه السيئة !

ومعاصي القلوب ، أو الرذائل النفسية تسيطر على أصحابها ، فلا يعرفون منها متاباً ، لأنهم لا يحسون دماستها ، وتأمل في موقف إبليس بعد ما عصى الأمر بالسجود ، لقد مضى في تحديه ، يقول لله : أهذا آدم الذي فضلته علي ؟ ﴿ أ رأيتك هذا الذي كرمت علي * لنن أخرتن إلي يوم

القيامة * لأحتكن ذريته إلا قليلاً ﴿١﴾ .

والاغترار بالنفس أو الدوران حول الذات لا يبدو في طلب الرئاسة بالأساليب القدرة وحسب ، كلا ! إنه قد يبدو في تنقص رجل معروف أو اعتناق رأى شاذ ، أو المكابرة في حوار ، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني ، أو الميدان المدني على سواء . وقد ورد أن هؤلاء أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة : ﴿٢﴾ تلك الدار الآخرة * نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض * ولا فساداً * والعاقبة للمتقين ﴿٣﴾ .

[القصر/٨٣]

وفي ميدان التدين تعتبر الطاعات التي يقوم بها هؤلاء ستاراً لنيات مغشوشة أو ترجمة معكوسة لما يكمن في عقولهم الباطنة (١) . إنهم ناس سيطرت عليهم علل نفسية خبيثة ، وبدل أن يستشفوا منها استبقوها وستروها .. إنهم مرضى أخلاقياً ، ويجب أن يعالجوا . وعند ما يكون المرء بخيلاً مثلاً : فعلاج شحّه أن يتعلم الكرم ويتعوده ، فيصبح على مر الأيام إنساناً طبيعياً ، أما أن يلجأ إلى الصلاة الطويلة كي تخفى نقيصته فذاك لا يجديه ، وسيبقى بخيلاً ، ولو صلى آناء الليل ، وأطراف النهار .

وهؤلاء المرضى بالشذوذ ، والحد قد يكثرون من التلاوة ، وصور العبادة ، وينهزون القرص التي تتنفس فيها طباعهم ، فيضربون ضربتهم ، وقد كانوا كثيراً في جيش علي بن أبي طالب ، ولكنهم شغلوا علياً عن هدفه حتى انهزم ، وكانت صيحتهم : لا حكم إلا لله ! و كان تعليق علي :

(١) محمد الغزالي : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين : ص/١٧٤-١٧٥ (تونس ، الزيتونة للإعلام والنشر ١٩٨٩م) الطبعة الأولى .

"كلمة حق أريد بها باطل" !!

إن المتدينين من هذا الصنف الغاش بلاء على الدين ، وعقبة أمام امتداده .

كان ابن عمر يراهم شرار الخلق ، وقال : "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين" !

إن إيمانهم لا يجاوز حناجرهم ، أي لا يعلق بخلقهم وعملهم شئ من لبّ الدين ، إنما هي صور عبادة ، وصوت قراءة ، إلى جانب فظاظ في الأخلاق ، وقساوة في الأفئدة ، وقباحة في الأعمال !!

وتلك كلها خلال تنافي الإيمان ، فالإيمان إنكار للذات ، وحب للغير ، وسر على المخطئ ، وسعي لإقالتة من عثرته ، وسرور غامر بتوبته .

الإيمان توقير للكبار ، ورحمة بالصغار ، وتكريم للعلماء .

الإيمان سعادة بالرخاء يشيع بين الناس ، و ألم للكوارث التي يقطب لها الجبين ، ولو كان هذا أو ذاك خيراً ينقل لا علاقة لشخصك به (١) .

وهذا الإيمان الودود هو ما يجب أن يحمله الداعي المسلم للبشرية .. حتى يكون على خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

(١) المرجع السابق : ١٧٧-١٧٨ .

كثيرة من حياة الإنسان الفردية والاجتماعية ، ولفت النظر إلى ما خلقه الله في هذه الأرض ، فإنما نجدها في مختلف أبواب كتب الصحاح ، ويدل على إحاطة تعليمات الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم فيما يتصل بالمعارف الاجتماعية العامة ، حثه على العمل اليدوي ، وكلامه في تأبير النخل ، وإباحته له بقوله أنه من أمر دنياكم ، وبيانه لآداب مختلفة للحياة ، حتى تعجب رجل مشرك من إرشاداته في شئون الغائط ، والاستنجاء ، وإعطائه تعليمات مختلفة في علاقات الإنسان بالإنسان ، وعلاقة عضو أسرة بغيره من الأسرة .

وبذلك كله نشأت للمسلمين معارف إنسانية كانت نواة غضة استقى العلماء منها علوماً واسعة ، نشأ بها المسلمون على منهج متكامل متناسب حامل للروح الإسلامية بتأثير ما استفادوه من كتاب الله ، وحديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن الدراسات النابعة منهما ، واستنتاجات علماء المسلمين من المهتمين بالعلوم الإنسانية ، كانت زاداً كاملاً للمسلمين في قرونهم السابقة ، وذات قيمة إبداعية ، وجامعة لكثير من جوانب حياة الإنسان ، وذات قيمة مزدوجة ، فهي تغطي جوانب حياة المسلمين : وتسعفها وتساعدها ، ثم إنها تصبغهم بالصبغة الإسلامية الخاصة ، وهي صبغة أسلافهم العظماء ، وبذلك نجد تصورات المسلمين الجدد وسيرتهم وثقافتهم امتداداً لتصورات آباؤهم وسيرتهم وثقافتهم الخاصة ، بل إنها امتداد أيضاً لسيرة المتبعين للأنبياء السابقين ، وذلك بسبب التقارب والتلاقي الذي يوجد بين هؤلاء وأولئك ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى أحداث الأمم السابقة ، وعرض جوانب من حياتهم ونشاطاتهم الإنسانية الحسنة ، والبغضة ، باستحسانه للحسن وتقبيلها للقبیح منها ، فكان ذلك تعليماً وتحذيراً يجعل الحسن منها أسوة للاختيار ، ويجعل السيئ

العلوم الإنسانية ، و وضعيتها في العالم اليوم

[١] بقلم : فضيلة الأستاذ الشيخ السيد محمد الرابع الحسنی الندوي
(رئيس ندوة العلماء العام - الهند)

يرجع أخذ المسلمين للعلوم الإنسانية في العصر الحديث إلى جهتين مختلفتين ، جهة إسلامية ، وهي تشتمل على كتاب الله ، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وآراء ودراسات ، وأورثتها علماء المسلمين القدماء إياهم ، وجهة أخرى : وهي ما كتبه ويكتب علماء الغرب في العصر الحديث .

أما الجهة الإسلامية ، فإنها مصدر تراث عظيم يتصف بالغرارة والاستيعاب ، ولا يقل قيمة عما نجده لدى غيرنا ، بل و يفوق عليه في تغطية حاجات الحياة ومقتضياتها ، كما أنه يملك أصالة إسلامية ، لأن علماء المسلمين بحثوا فيها وصاغوها على طراز رفيع وأصيل معتمدين على الاستفادة من كتاب الله المجيد ، وحديث رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم ، المصدرين الجليلين اللذين أحاطا بحياة المسلمين بما فيها شتى جوانبها المتنوعة ، أما القرآن الكريم فنجد أمثلة رائعة في سورة المختلفة ، مثل : سورة لقمان ، وسورة النور ، وسورة الحجرات وغيرها ، نجد فيها إيضاحاً للنواحي الخلقية الإنسانية ، والسلوك الفردي ، والاجتماعي ، وشرحاً للآداب الإنسانية ، وبياناً لضرورة التفكير في خلق السماوات والأرض ، وحثاً على السير في الأرض ، والنظر في آيات الله ، وأحاط الحديث النبوي الشريف أيضاً بجوانب

منها ذريعة للاعتبار للأجيال الإسلامية المتأخرة ، فقد ذكر قوم عاد ، وذكر أنهم كانوا يبنون بكل ريع آية ليعبثوا ، وإذا بطشوا بطشوا جبارين ، وذكر ثمود ومهارتهم في نحت الجبال ، واستكبارهم ، وقيامهم بالإفساد ، وما إلى ذلك من أحوال شتى للأمم مختلفة ، مثل : حادث السد العظيم الذي كان بناه قوم سبأ ، وأصبحت هناك جنتان عن يمين وشمال ، وبلدة طيبة ، ورب غفور ، ولكنهم أسأفوا السيرة ؛ فذهبت شوكتهم .

على كل فقد ذكر الله تعالى أمثلة للخير والصلاح ، وأمثلة للشر والفساد ، وحث على اختيار أمثلة الخير ، وربط المتأخرين بالمتقدمين بتقليدهم لهم ، ومشابهتهم بهم ، وسماهما : أمة واحدة ، وقال : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً * وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء/٩٢] ، وقال : ﴿ قُلْ : صَدَقَ اللَّهُ * فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا * وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

[آل عمران/٩٥]

واستمر المسلمون في الاستفادة بما حصل لهم من المعارف في هذا المجال ، واستمروا في الدراسة والبحث للمزيد ، وقاموا بتوسعة العلوم ، وجمع المعلومات والاستفادة بها ، وذلك في الوقت الذي كانت الأمم الأوروبية تتسكع في مجاهل الحياة ومثاهاتها ، حتى اختلط أبناؤها بالمسلمين في "أسبانيا" المتصلة بديارهم ، ورأوا تقدم المسلمين في علوم الحياة ، وما يمتازون به من التحلى بالعلم والمعلومات ، واهتمامهم باستزادتها وتوسعتها ، فلما رأوا ذلك التفتوا إليها عن طريق طلابهم الذين قصدوا إلى مدارس المسلمين ، ومراكزهم التربوية في "أسبانيا" ، واهتموا بالاقتباس والاستفادة منها ، واستمر بهم ذلك حتى استفادوا منها شيئاً مفيداً ، ونقلوا منها معلومات إلى كتبهم في

الأخلاق والثقافة ، والاجتماع ، والتاريخ ، والجغرافيا مع الاعتراف بسبق المسلمين فيها ، مثل : الخردازبة ، والإدريسي عالمي الجغرافيا ، و ابن ماجد : صاحب النبوغ في الملاحة ، و البيروني : صاحب الريادة العلمية في جميع المواد الثقافية و الاجتماعية المفيدة الكثيرة ، وابن خلدون : الذي ترك آراء خالدة في العلوم الإنسانية والأدبية والاجتماعية بكتابه : "المقدمة لتاريخه" ، وغيرهم ، فهذا هو سبق المسلمين في العلوم الإنسانية على غيرهم بحيث لا يمكن أن تعمى عنها العيون ، وليس عنها غنى للدارس فيها .

ولكن الفلك دوار ، وبدأ المسلمون بعد ذلك يتهاونون في الجد ، ويقتفون بما أورثهم أسلافهم ، ويقصرون عن الجهد والسعي ، في استزادة المعلومات وتوسعتها ، واهتمت الأمم الأوروبية بالعكس منهم بكل ذلك ، واجتهدت فيها كل الاجتهاد ، حتى تبدل الوضع تدريجياً ، وصار تلامذة أمس أساتذة اليوم في جوانب عديدة من العلوم الإنسانية ، وتقدمت أوروبا تدريجياً تقدماً كبيراً ، واستكشفت علوماً جديدة ، فحازت بذلك القوة والثروة والعتاد الهائل .

ولكن طبيعة الأمم الأوروبية ومعتقداتها ورغباتها فرضت عليها حينما أخذت من مواد تلك العلوم من المسلمين أن تأخذها بمنهجها الخاص أو تصبغها بصبغتها ، إنها كانت أولاً أمماً نصرانية معادية للإسلام ، ثم إن ظروفها الإنسانية الخاصة بها قد وصلت بها إلى ظهور ثورات طاغية قضت على معتقداتها القديمة ، ومناهجها السابقة ، وأحدثت تغييراً شاملاً في حياتها ، و أبدل حياتها من الالتزامات الدينية تحوراً وإلحاداً من الاحتفاظ بالقديم ، وانطلاقاً إلى كل ما هو متطرف جديد ، و لم تحتفظ أوروبا من قديمها إلا العداء للمسلمين مع أنها كانت مدينة لهم بما اقتبسته ، واستفادت به منهم .

فالفروق الأساسية في حياة أوروبا ونفسيته العدائية للمسلمين جعلتها أن تجعل منهج الحياة ، ومنهج العلوم الإنسانية فيها مختلفاً اختلافاً بيناً عن منهجها في المسلمين ، كما أن الإلحاد و الإباحية في حياة أوروبا جعلها حياة المسلمين غير متفقة أي اتفاق مع حياة أوروبا .

وعكف علماء أوروبا في القرون الأخيرة على مزيد من البحث و السعي للاستزادة من العلم ، حتى فتحو آفاقاً جديدة في العلوم الكونية ، و العلوم الإنسانية ، ولكن روح معارفها وعلومها كانت نابعة من الأوضاع و الأحوال التي مرت ، وتمر من خلالها ، وهو أحوال مختلفة متصفة بالنصرانية ، والإلحاد ، والإباحية ، والشعور بالعزة القومية ، والعنصرية ، والاستثثار ، والعقلية الاستعمارية .

ثم إن مفكري أوروبا وفلاسفتها انطلقوا انطلاقاً بعيداً ، ولجأوا في علومهم إلى نظريات متطرفة لا يتفق مع ما يلتزم به المسلمون ، و كان لها تأثير كبير في طبع منهج فكر علمائها ، وطبع اتجاهات حياتها ، وتحويلها من الأخلاقية الإنسانية الملتزمة إلى أخلاقية بهيمية هاملة .

وكان من أهم هؤلاء المفكرين الذين تركوا أثراً بعيداً في علوم أوروبا الإنسانية "دروين" الذي وصل النوع البشري بنوع القرد ، و جمعها على أساس النوع السلالي الواحد ، فاشتبه بذلك النسل البشري بنسل بهيمي هامل ، و كان منهم "فرويد" الذي نادى بفلسفة النفسية الجنسية ، ونسب كل اتجاهات الإنسان ، وميوله إلى هذه النفسية ، وأخضع كافة عواطفه لهذه النفسية حتى الطفل الذي لم يجاوز مدة فطامه إذا امتص إبهامه ، فهو لا يفعل ذلك في نظر فرويد إلا بدافع جنسي ، وتلقى الفكر الأوربي هذه الفلسفة بالتقدير والعناية ، فتركت صبغة واضحة على تفكير علماء العلوم الإنسانية في أوروبا .

وظهر "ماركس" بفكره الثوري ، و كان مبنياً على فلسفة

"هيجل" للجدل التاريخي ، و بذل ماركس جهده في تنفيذ فكره المادي الجدلي الملحد في المجالين السياسي والاقتصادي ، ونجح نجاحاً كبيراً في صبغ العقلية الأوربية بهذا الفكر ، وتأثرت العلوم الإنسانية في أوروبا في المناطق الخاضعة لها بهذا الفكر .

ثم ظهرت دعوات وأفكار متطرفة عديدة ، واتصلت بعضها مع بعض ، وأثرت على النفوس و الاتجاهات ، مثل : الوجودية ، والأبيقورية في منهج السيرة والسلوك ، و الميكاولية في منهج السياسة ، وأفكار أخرى على هذا المنوال ، وكلها طبعت ميول الناس ، و تصوراتهم في الحياة ، وأثرت على الجوانب الإنسانية السائدة في أوروبا ، والمناطق الخاضعة لها عقلياً ومدنياً .

و نشأت علوم إنسانية متأثرة بها ، ونشأت الحضارة الحديثة متأثرة بها ، ونشأت فلسفة جديدة للحياة ، لها طبيعة خاصة تختلف عن القديم ، وتخالف ما ورثه المسلمون من تراث عقلي وعلمي ، وثقافي ، وديني ، وما ورثوه من أخلاقية إسلامية للحياة مقبسة من تعاليم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، أما منهج المسلمين ، فقد كان نابعاً من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأفكار العلماء المسلمين المؤمنين بتعاليمهما ومنهجهما قائماً على أساس التوحيد ، والطاعة لله ، ولرسوله ، وحب الآداب الإنسانية الفاضلة ، ومتصفاً بالحركية ، و العملية ، و الوحدة الكلية بالعكس عن المناهج الأخرى . فنشأت المجتمعات الإسلامية في ظل تعاليمها الإسلامية ، والتربية الفاضلة الخاضعة للدين الإسلامي ، وللمعاني الإنسانية ، والملتزمة ، لا الحيوانية الحرة . ولقد جعل الإسلام وصايته على جوانب الحياة الإنسانية كلها ، وأعطى توصيات لكافة شؤون هذه الحياة وصبغ العلوم الإنسانية كلها بصبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة .

فالنهج الغربي في العلوم الإنسانية منهج مختلف عن منهج الإسلام فيها اختلافاً بيناً واسعاً ، يسيطر فيه على علوم السياسة ، والأدب ، والاجتماع ، أفكار "روسو" و "ماركس" و "فولتير" و "سارتر" وغيرهم ، وعلى علم الاقتصاد الفكر اليهودي ، و الفكر المادي الملحد ، والفكر الاشتراكي الماركسي ، وعلى الجغرافية الميول الاستعمارية من إمبريالية ، وشيوعية ، والعنصرية ، والوطنية ، هكذا علوم إنسانية أخرى فيه ، إنما يسيطر عليها اتجاهات الفكر الأوربي المتطرف ، واجتمعات الأوربية قد مرت من خلال تأثيرات الرهينة المسيحية أيضاً ، و من خلال تأثيرات الثورة ضد الدين ، وتأثيرات الثورة على الأوضاع القائمة في أوربا من إمبريالية مستبدة والارستقراطية الظالمة أيضاً ، مما أفضت إلى رد فعل في النفوس و العقول بأفكار وأوضاع مضادة ، فجاء الإلحاد بتأثير رد فعل الظلم الديني ، و جاء انتقام الفقراء من الأغنياء بتأثير رد فعل الارستقراطية ، والظلم الاقتصادي ، وأثر كل ذلك على العقلية الأوربية ، وعلى العلوم الإنسانية تبعاً لطبيعة هذه العقلية .

أما المسلمون أو غير الأوربيين ، فلم يمروا من خلال ظروف ، مثل : الظروف الأوربية في قرونها الأخيرة ، قرون نهضتها الجديدة ، فلم يكونوا بحاجة إلى أن يأتسوا بأسوة علماء أوربا في عقليتهم .

فقد تفضل الله عليهم بأن أبدلهم من المساواة مواساة ، ومن الديمقراطية أخوة إنسانية ، وشعوراً إنسانياً ، ومن الحرية البهيمية حرية ملتزمة باتباع أوامر الله ورسوله ، إنهم لم يمروا خلال التجارب القاسية التي مرت بها أوساط أوربا في تاريخها الطويل ، فكيف يناسبهم ، و يحسن لهم أن يضعوا نفوسهم مع نفوس أوربا ، ويروا أمراضهم ، مثل : أمراضهم ، ويصفوا علاجهم ، مثل : علاجهم ، اعتماداً على ما توصل

إليه الفكر الغربي ، والتجارب الغربية للحياة .

فقد كان من مبادئ العلوم الإنسانية لدى المسلمين أن تركز على التراث الحاصل من سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وتعليماته ، ثم من الصحابة رضي الله عنهم ، وأتباعهم والسائرين على سننهم من العلماء والأدباء والباحثين ، وقادة الفكر ، و السياسة ، و الاجتماع ، ثم يستفيدوا ما يوافق طبيعتهم ، و ينفعهم في حاجاتهم ومقتضياتهم في الحياة من علوم أوربا قديمة وجديدة ، و علوم الأمم الشرقية المجاورة لهم ، فذلك أوفق بمكانتهم التاريخية العظيمة ، وكرامتهم الإنسانية ، ولكن الأمم الشرقية والإسلامية التي قضت القرون الأخيرة في التخلف الشنيع ، وضالة الوسائل ، وفي المهانة ، والضعف أمام الأمم الأوربية التي دخلت عليها في حالة ضعفها ومهانتها فاتحة وغازية ، واحتلت بلادها لمصالحها ، و أهدافها الاستعمارية ، و ابتزت ثرواتها ، و أخضعت شعوبها للتبعية لها ، و الانقياد لها ؛ فهالتها الأوضاع ، وعرفت حقاً أنها نتيجة جهود الأمم الأوربية في كسب المعارف النافعة للحياة ، وقيامها باستغلالها لأهدافها ، ونتيجة تخلف الأمم الشرقية فيها ، وتكاسلها عن كسبها ، واستغلالها ، و لكنها ظنت مع ذلك أن أوربا لائقة بالتقليد والاتباع في كل مجالات الحياة ، و صنوف العلم ، وفي كل ما تتصف بها من تقدم علمي ، ومنهج علماني ، وصورها وأشكالها ، مثل : الأمة اليابانية ، و الأمة الصينية وغيرها ، و ذلك لأنه لم يكن لدى هذه الأمم مانع في ذلك الاتباع والانصيهار في البوتقة الأوربية ، لأنها لم تكن تحمل منهجاً سماوياً للحياة الخلقية لا يجوز استبداله أو تمويجه .

[للحديث صلة]

يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ، أو المراد به الوطن المتعارف ، ولكن بشرط أن يكون سبب حبه صلة أرحامه ، أو إحسانه إلى بلده ، من فقرائه و أيتامه ، ثم التحقيق أنه لا يلزم من كون الشيء علامة له اختصاصه به مطلقاً ، بل يكفي غالباً ، ألا ترى إلى حديث حسن العهد من الإيمان ، وحب العرب من الإيمان ، مع أنهما يوجدان في أهل الكفر انتهى .

ومما يدل لكون المراد به مكة ، ما روي ابن أبي حاتم عن الضحاك ، قال : لما خرج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من مكة ، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ، قال : إلى مكة ، وللخطابي في غريب الحديث ، عن الزهري ، قال : قدم أصيل - بالتصغير - الغفاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قبل أن يضرب الحجاب ، فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال : اخضرت جنباتها ، وأبيضت بطحاؤها ، وأغدق إذخرها ، وانتشر سلمها - الحديث - وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حبك يا أصيل لا تخزني ، وفي رواية : فقال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : ويها يا أصيل تدع القلوب تقر . [كشف الخفاء : ١/٣٤٥-٣٤٦]

وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ، والموضوعة تحت رقم/٣٦ : حب الوطن من الإيمان : موضوع كما قال الصفاني : ص/٧ وغيره ، و معناه غير مستقيم ، إذ أن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه ، وكل ذلك غريزي في الإنسان ، لا يمدح بحبه ، ولا هو من لوازم الإيمان ، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب ، لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم . [٥٥/١]

وفي مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني ، جاء تحت رقم/٣٦١ : فقال : حب الوطن من الإيمان ، لا أعرفه ، ثم علق عليه في الحاشية المحقق د/محمد الصباغ : فقال : موضوع ، انظر المقاصد/١٨٤ ، والدرر/٢٠٠ ،

((حب الوطن من الإيمان))

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض)

كلمة مأثورة يعتقدها بعض الناس حديثاً ، وليست كذلك ، إذ المهتمون بالحديث سنداً و متناً ، وجرحاً وتعديلاً ، ينفون كونها حديثاً ، يقول العجلوني في كشف الخفاء : قال الصفاني موضوع ، وقال في المقاصد لم أقف عليه ، ومعناه صحيح ، و ردّ القارئ قوله : ومعناه صحيح بأنه عجيب ، قال : إذ لا تلازم بين حب الوطن ، وبين الإيمان ، قال : و ردّ أيضاً بقوله تعالى : ﴿ولو أنا كتبنا عليهم الآية﴾ ، فإنها دلت على حبههم وطنهم ، مع عدم تلبسهم بالإيمان ، إذ ضمير عليهم للمنافقين ، ولكن انتصر له بعضهم بأنه ليس في كلامه أنه لا يجب الوطن إلا مؤمن ، وإنما فيه أن حب الوطن لا ينافي الإيمان .. انتهى ، كذا نقله القارئ ، ثم عقبه بقوله ، ولا يخفى أن معنى الحديث : حب الوطن ، من علامة الإيمان ، وهي لا تكون إلا إذا كان الحب مختصاً بالمؤمن ، فإذا وجد فيه و في غيره ، لا يصلح أن يكون علامة قوله : ومعناه صحيح ، نظراً لقوله تعالى حكاية عن المؤمنين : ﴿وما لنا لا نقاتل في سبيل الله * وقد أخرجنا من ديارنا﴾ فصحت معارضته بقوله تعالى : ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا .. الآية﴾ الأظهر في معنى الحديث إن صح مبناه ، أن يحمل على أن المراد بالوطن الجنة ، فإنها المسكن الأول ، لأبينا آدم ، على خلاف فيه أنه خلق فيها ، أو أدخل بعد ما تكمل وأتم ، أو المراد به مكة ، فإنها أم القرى ، و قبلة العالم ، أو الرجوع إلى الله تعالى ، على طريقة الصوفية ، فإنه المبدأ والمعاد ، كما

والتمييز / ٦ ، والكشف : ٣٤٧/١ ، والفوائد للشوكانى / ٢٦٣ ، وانظر في
الحجامة مجمع الزوائد : ٩٣/٥ .
فإذا أدركنا من هذا أن هذا الأثر موضوع ، ولا يصح نسبه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الديار بأرضها وشجرها جهاد ، لا تحس
بهذه المحبة إن وجدت ، ولا يتميز عند الإنسان شجر عن شجر ، ولا تربة
وحجارة عن تربة وحجارة ، إلا بقدر المنفعة ، وإنما الذي يعلق بذهن
الإنسان في الديار والأوطان ، ما يتعلق بذكرياته وأنسه ، لأن المحبة مقترنة
بما يصاحبها من أمور سنحت مع ذكريات النفس ، وتعلقت بالقلب ،
وبنقيضها البغض والكراهية ، إذا كان قد مر بالإنسان في موطن من
الأوطان ، ومرتع من المراتع ، ما يكدر صفو العيش ، أو ينغص بلهنية في
الاستقرار ، من أعمال وتصرفات تؤثر بالإنسان ، في نفسه أو ماله ، أو في
مشكلات مع أحد أفراد أسرته أو مجتمعه ، فإن الأول : يألف الديار ، ويحن
إليها ، ليرودها بين حين وحين ، والثاني : ينفر منها ويتحاشى حتى من ذكر
اسمها ، أو اسم من يسكنها ، وقد يتجاهل حتى أقاربه ، سواء كان مؤمناً أو
كافراً ، فالأرض بتربتها وشجرها لم تسيء إليه ، ولم تحسن إليه لأنها جهاد ، و
إنما المسيء أو المحسن من يسكن هذه الديار ، كما يقول الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

و لكن أخلاق الرجال تضيق

فالبشر في الأوطان هم الذين تنطبع بهم وبأعمالهم النفوس حبا ، أو
يؤثرون بغضا ، حيث لم نسمع أن إنساناً نفر من بلد لأن حجراً فيها ضربه ،
أو بهيمة نطحته ، أو رفته ، أو نخلة سقط منها قريب له ، فأعاقته أو قتلته ،
ولا نقيض ذلك في دوافع الحب أو الكره ، خذ نموذج هذا من المجنون الذي
كان يتوجد على دياره ، ومراتع صباه ، ولما مر بها صار يقبل جدرانها
وتربتها ، زقد علل هذا بأنه ليس حبا في التربة ، ولا أنسا بالديار ، ولكن

لأنها تذكره بليلاه التي كانت تسكن هذه الديار ، فكان الحب لمن سكنها لا
لها حيث يقول :

مررت على الديار ديار ليلي

أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حبّ الديار شغض قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

ويقول ابن الرومي ضمن قصيدة طويلة عن حب الديار :

وحبّ أوطان الرجال إليهمو

مآرب قضاها الشباب هنالكا

وهذا تعبير صادق عن أن حب الديار من حب أهلها ، والإنس بهم ،
ومن حب الإنسان إلى تمني العودة إلى فترة من عمره ، هي سن النضج
 والتفتح ، و ريعان الشباب ، و حيوية الصبا ، حيث إن تلك الحقبة من عمر
الإنسان ، هي التي يتمنى بقاءها فيها مستقراً ، ولكنه مطلب عسير ، لما في
الشباب من حيوية وتفتح ، كالزهرة حين تفتح بالنسبة للنبات ، ولما فيه من
انبثاق للأمانى ، وتطلع للأمنيات ، كانبثاق الشمس في الجو الربيعي .
ذلك أن نذير الكبر ، وهو الشعرات البيض التي تغزو مفارق
الإنسان ، هو إيذان بتخطى مرحلة الشباب التي هي قمة الرسم البياني في
المقياس الهرمي لحياة الإنسان ، حيث يرى المختصون بدراسة جسم الإنسان
أن الله جلّت قدرته قد أودع فيه خصائص وخلايا ، تبدأ نشاطها وتتكاثر
منذ الولادة ، في بناء الجسم و ترويده بالقوة ، والدفاع عن كل طارئ على
الجسم ، ومكافحة كل دخيل ، و طارئ على أنسجته ، حتى تنتهي مرحلة
الشباب ، وهي أربعون سنة من العمر ، حيث يبلغ السلم البياني في ذروته ،
على حد تقسيمهم لعمر الإنسان : طفولة ، ثم فتوة ، ثم الشباب ، ثم
الكهولة ، ثم الشيخوخة ، والهرم .

وأجدادنا العرب قديماً وضعوا التقسيم كما يلي : طفل ثم يافع ، ثم فتى ، ثم شاب ، ثم كهل ، ثم شمت ، ثم شيخ ، ثم هرم ، فزادوا فيها مرحلتين ، وهذه اصطلاحات .. ولا مشاحة في الاصطلاح .
والسلم الهرمي يبدأ في الهبوط من الأربعين ، وهذا إيذان بأن القدرات الجسمانية بما فيها النواحي الصحية ، تبدأ في الانحدار ، بحسب المؤثرات حول الإنسان من نفسية وبيئية وصحية ، وتبدأ المقاومة في الضعف .

والقرآن الكريم : قد سبق هؤلاء بخمسة قرناً في دراستهم هذه إلى إبانة : بأن الشدة في سن النضج هي الأربعين ، يقول سبحانه في سورة الأحقاف : ﴿ حتى إذا بلغ أشده * وبلغ أربعين سنة ﴾ . [١٥]
فالإنسان إذا عاش في مكان ، وانطلق في التعامل مع أهله ، وفق ما يأمر به دين الإسلام ، من حيث المحبة والألفة ، آخذاً من قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ * فأصلحوا بين أخويكم ﴾ . [الحجرات/١٠]

ومن قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم ؛ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت " ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه " ، ومثل هذا في الحث على الإحسان للفقراء واليتامى ، وصلة الرحم ، وحسن المودة ، والإخاء ومجازاة الإحسان بالإحسان ، وغير هذا من أمور يحث عليها الإسلام ، هي من جواهره الثمينة في حسن التعامل ، وتمكين وشيخة الحب والألفة ، حيث ينتج عن ذلك حسن العشرة ، وطيب التعامل ، وصدق المودة ، مما يزيد الفرد ارتباطاً بالمجتمع ، حتى تتآلف القلوب ، ويكونوا يداً واحدة ، وبنیاناً مرصوفاً ، ضد من يريد تفريق كلمتهم ، أو بث الفرقة

فيما بينهم ، من حيث الولاء لله أولاً ، وتطبيق شرعه الذي شرع لعباده ، ثم لولاة الأمور والعلماء ، الذين جعلهم الله حماة للدين ، ومدافعين كل شر وفساد يراد بالمجتمع ، ونبذ كل طارئ ودخيل .

ومن هذا المنطلق ، ووفق ما ذكره العجلوني فيما مر بنا ، يستطيع البلاغيون أن يجدوا مخرجاً لدلالة ذلك الأثر في حب الوطن : بأن المقصود من يسكن هذا الوطن ، ومن جعل الله ولايته الحسنة في يده ، من ولادة وحكام ، علماء وعقلاء ، يقيمون شرع الله ، ويحرصون على تطبيق الحدود الشرعية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والأخذ على يد السفیه ، وأطره على الحق أطراً ، وقمع المعتدي .

ذلك أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم أمانة التبصير للناس في أمور دينهم التي شرعها الله لهم من حلال وحرام ، ومن متشابه ومحكم ، ويعلمون الجاهل ما خفي عليه ، وينبهون الغافل لما شرد عن ذهنه ، ويذكرون طلبية العلم ، والحريصين على السؤال ما يجب عليهم ، لأن العلماء هم أكثر خشية لله ، لعلمهم وفقههم وورعهم ، كما قال سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [سورة فاطر/٢٨] ، وقد قال بعض العلماء : من كان بالله أعرف ، فهو منه أخوف ، فيحفظون لهؤلاء ، وهؤلاء المكانة التي يستحقونها : ولاء ومحبة ، ودفاعاً عما يقوله السفهاء والأعداء من محاولة النيل منهم ، أو تخفيف مكانتهم في القلوب ، أو الانتقاص منهم .
ومن هنا يخرج البلاغيون هذه المقولة : بأن المراد الحالية لا الخلية ..

أي ليس بهذه المحبة للوطن المحل ، وهو المكان ؛ لأنه جماد ، وإنما المقصود من محل هذا المكان ليلتئم بهم الشمل ، ويحصل الأجر من الله بالمحبة المتوطدة ، والألفة المتكاملة ، لأنها محبة يؤصلها الإيمان ، المقصود به وجه الله ، والامتثال لشرعه ، وهذا هو أمكن عرى المحبة ، التي لا توازيها مصالح الدنيا ، ولا منافسات الناس فيها وعروضها .

فإنسان الذي يحب إخوانه لكمال إيمانه ، فإنه يحن للديار التي هم فيها ، ويجب عملهم الصالح ، كما جاء في حديث الرجل الذي سافر من بلد إلى بلد ، ليزور أخاه في الله ، وليس بينهما مصالح أو منافع ، فأرسل إليه ملكاً في صورة رجل ليخبره أن الله يحبه .
والديار التي فيها العلماء العارفون بالله ، فإنه يحب شد الرحال إليهم ليستفيد منهم ، ويأخذ من علمهم ، ولذا يحرص من محبتهم بأن يدافع عنهم من يتناولهم بأذى ، وليدافع عنهم بظهر الغيب ليذب الله عنه الشرور يوم الجزاء والحساب .

ويجب ولاية الأمور الذين يدافعون عن الأوطان ، لحرصهم على إقامة شرع الله فيها ، وتنفيذ الحدود التي بها حفظ الأمن ، وحماية الأموال والأنفس والأعراض ، ويجب كل عمل وعامل يعود على الأوطان بالخير والنفع ، ويدفع عنها الشر ، ويحبط الله به كيد الأعداء .
ويجب مكة والمدينة لفضلهما ، وفضل العبادة فيهما ، ولأن الله أوجد فيهما الأماكن المقدسة عند المسلمين ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمر بشد الرحال إلى مسجديهما ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، إلا لأن ذلك عبادة لله ، والعبادة لا تكون إلا لما يحبه الله ويرضاه .

والدليل على أن المحبة ليست للتربة ولا للجمااد أو الحيوان في الوطن ، إن الإنسان يسعى من مكان لمكان ليبحث عن رزقه ، فإذا تهيأ له في مكان استقر فيه ، ونسي موطنه السابق ، ولذا يقال في المثل : وطنك الذي ترزق فيه ، وليس الذي تولد فيه .

وقد أمر الله بالهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام ، وترك الوطن الأصلي الذي ألفه الإنسان إذا كان الأمر يمسه الدين ، وينال عقيدة المرء الخالصة لله ، لأن دين الإنسان أنزم عليه من وطنه ، ومصالح الآخرة مقدمة على مصالح الدنيا ، وأمر الله وأمر رسوله فوق رغبات النفوس

والمطامع الفردية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ * وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [النحل/٧٤]
ولذا فإن الحمية في الإسلام ليست للوطن ، وإنما هي للدين ، والجهاد شرع في الإسلام لرفع راية هذا الدين لا لغيره من الشعارات ، فإذا اقترن الدفاع عن الدين بحب الوطن ، فذلك ما لا غضاضة فيه ، يقول صلى الله عليه وسلم : لم يخرج من مكة مهاجراً : والله إنك لأحب البلاد إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت .. فخروجه صلى الله عليه وسلم بسبب كفر قومه وعداوته له ، و للدعوة التي جاء بها من عند ربه ، و محبتها في قلبه من أجل أنها أقدس البقاع على وجه الأرض ، وفيها بيت الله الحرام ، وقد طهرها الله من الشرك عندما فتحها صلى الله عليه وسلم ، وبقيت محبة مكة في قلب كل مؤمن أينما كان في أصقاع الأرض ، و بان فضلها لدى كل مسلم من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. ولذا فإن المسلم لا يقدر من البقاع إلا ما جاء فيه نص شرعي عن الله ، وعن رسوله .. ولا قدسية لمعابد وأوطان اهتم بها أناس ما دام هذا التقديس ، وهذه المعابد تتنافى مع النصوص الشرعية عند المسلم ..

نماذج من الذكاء :

حدث القاضي أبو علي ؛ قال : نزل الوزير أبو محمد المهلب السوس ، فقصدته للسلام عليه ، وتجديد العهد بخدمته ، فقال لي : بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز ، قلت : نعم ، قال : ومن ابن سيار حتى تشهد عنده ، وأنت ولدي ، وابن أبي القاسم التنوخي ، أستاذ ابن سيار ؟ قلت : إلا أن في الشهادة عنده مع الحدائثة جمالاً ، - وكانت سني يومئذ عشرين سنة - ، قال : وجب أن تجي إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة ، بتقليدك عملاً تقبل أنت فيه شهوداً ، قلت : ما فات ذلك ، إذا أنعم سيدنا الوزير به ، وسبيلي إليه الآن ، مع قبول الشهادة أقرب ، فضحك ، وقال لمن كان بين يديه : انظروا إلى ذكائه ، كيف

اغتنمها ، ثم قال لي : اخرج معي إلى بغداد ، فقبلت يده ، ودعوت له ، وسار من السوس إلى بغداد ، ووردت بغداد في سنة ٣٤٩ هـ ، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات ، وكنيت ألامم الوزير أبا محمد ، وأحضر طعامه ، ومجالس أنسه ، واتفق أن جلساً يوماً مجلساً عاماً ، وأنا بحضرته ، وقيل له : أبو السائب في الدار ، قال : يدخل ، ثم أوماً إلى بأن أتقدم إليه ، فتقدمت ومد يده ليسارني ، وقال : ليس بيننا سر ، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب ، فإراك تسارني في مثل هذا المجلس الحافل ، فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة ، فيرهبك ويحشمك ، ويتوفر عليك ويكرمك ، فإنه لا يجئ إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك ، و أخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أبو السائب ، فلما رآه في سرار وقف ، ولم يجب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه ، وتلفظاً في استمالة قلبه ، فقال الحاجب لأبي السائب : يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير ؛ فرفع رأسه ، وقال : اجلس ، يا سيدي ! وعاد إلى سراري ، وقال : هذه أشد من تلك ، فأمضي إليه في غد فسترى ما يعاملك به ، وقطع السرار ، وقال لي : امض فيما انفذتك فيه وعد إلى الساعة بما تحمله ، فوهم أبو السائب أننا في مهم ، وجئت من الغد إلى أبي السائب ، فكاد يحملني على رأسه ، وأخذ يجاذبني بضروب من المحادثة والمباطنة ، واستمر على ذلك دهرًا طويلاً .

[معجم الأدباء لياقوت الحموي : ج/٥ ، ص/٢٢٨٢]

* * *

إِنِ الْإِيمَانُ وَالْأَمَانَةُ وَاللَّيْمَةُ وَالْمَسْكِينَةُ وَالنُّوَالُ حَمَلَةٌ

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
(المملكة العربية السعودية)

إن الأمانة التي خلقنا للوفاء بها في الدنيا أمر عظيم ، ولها شأن خطير ، و كثير من الناس يمضون في الحياة الدنيا دون أن يشعروا بأهمية هذه الأمانة ولا بخطورتها ، و لذلك جاء قوله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال * فأبين أن يحملنها * وأشفقن منها * وحملها الإنسان * إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [الأحزاب/٧٢] ، جاء قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ... إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ . لقد كان الإنسان ظلوماً شديداً الظلم لنفسه وللناس والبشرية بعامه حين لم يوف بالأمانة ، ولا يعهد لها الذي أخذه الله منه ، ولقد كان جهولاً شديداً الجهل حين جهل حقيقة الأمانة ، وجوهرها ومداها ، حين جهل امتدادها العميق في كل أمر من أمور حياته .

إن جهل الأمانة ، وعدم الوفاء بها ، والظلم الناتج عن ذلك يمثل خلافاً كثيراً في حقيقة الإيمان والتوحيد ، إنه خلل خطير يستحق الوقفة الإيمانية ، ومحاسبة النفس ، ومجاهدتها قبل فوات الفرصة :

﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة * أو يأتي ربك * أو يأتي بعض آيات ربك * يوم يأتي بعض آيات ربك * لا ينفع نفساً إيمانها * لم تكن آمنت من قبل * أو كسبت في إيمانها خيراً * قل : انتظروا * إنا منتظرون ﴾ .

[الأنعام/١٥٨]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ * وَأَسْلَمُوا لَهُ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ * ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
 مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً * وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ :
 نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ * وَإِنْ كُنْتَ لِمَنِ السَّاخِرِينَ *
 أَوْ تَقُولَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ : حِينَ تَرَى
 الْعَذَابَ * لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ * فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ ! قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي *
 فَكَذَّبْتَ بِهَا * وَاسْتَكْبَرْتَ * وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ . [الزمر/٥٤-٥٩]

وآيات أخرى كثيرة تلحُّ بالموقف الشديد يوم القيامة ، أو بعد
 الموت حين لات ساعة مندم .

"الأمانة" هي المهمة التي خلُق الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا ،
 فهي موضع الابتلاء والتمحيص ، وهي جوهر العبادة والخلافة والعمارة ،
 كلها تقوم على "الأمانة" ، و "الأمانة" تقوم عليها وبها .

فهل المسلمون اليوم رَعُوا "الأمانة" وأوفوا بها ، وأرضوا الله
 سبحانه وتعالى؟! وإذا ضيَّعت الأمانة في الأرض ، فكيف ضاعت ، ومن
 ضيعها ، ولم ضاعت!؟

إن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل والأنبياء ليذكروا الناس بهذه
 الأمانة العظيمة التي خلُقوا للوفاء بها ، وختموا جميعهم بمحمد صلى الله عليه
 وسلم ، وبالقرآن الكريم الذي أنزل بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ،
 ومهيماً عليه ، وبنى محمد صلى الله عليه وسلم أمة الإسلام التي جعلها الله خير
 أمة ، أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ،
 وتحمل رسالة الله بعد النبوة الخاتمة إلى الناس جميعاً :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ * تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ * وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ * وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ * وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ * لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ * مِنْهُمْ

المؤمنون * وأكثرهم الفاسقون ﴿ .

[آل عمران/١١٠]

لقد كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس بالخصائص الربانية
 الإيمانية التي تتحلى بها ، وبالرسالة الربانية التي تحملها إلى الناس كافة ، إلى
 البشرية كلها ، في جميع العصور حتى تقوم الساعة ، وهذه المهمة هي محور
 الأمانة ، والعبادة ، والخلافة ، والعمارة ، وأساسها ، وجوهرها ، كما بينا
 قبل قليل ، ذلك لأنه بهذه الرسالة وحدها ، لا بأي رسالة أخرى ، يستطيع
 الإنسان الوفاء بالأمانة ، والعهد الذي أخذه الله منه ، إنها رحمة الله
 الكبرى ، ونعمته الكبرى على عباده في الحياة الدنيا ، لتعينهم على الوفاء
 بالأمانة .

من هنا يتبين عظم الجريمة التي يرتكبها أولئك الذين يصدون عن
 سبيل الله ، ويحولون دون تبليغ رسالة الله إلى الناس ، كما أنزلت على محمد
 صلى الله عليه وسلم ، ودون تعهدهم عليها :

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ * أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ . [محمد/١١]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ * قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا
 بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا * وَظَلَمُوا * لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ * وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
 طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ .

[النساء/١٦٧-١٦٩]

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ
 بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ . [النحل/٨٨]

وآيات كثيرة تصف هول الجريمة التي ترتكب في الأرض بالصد عن
 سبيل الله ، وعن تبليغ الدعوة إلى الناس كافة ، وعن تعهد الناس عليها ،
 والمضي على صراط مستقيم حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وشريعته في
 الأرض هو الأعلى ، ليصلح حال الناس ، و لينجوا من فتنة الدنيا ، ومن

عذاب الآخرة .

هؤلاء هم المجرمون حقاً ، وأكثر المفسدين في الأرض إفساداً ، حين يضيعون الأمانة التي خلقوا للوفاء بها ، ويمنعون الآخرين من الوفاء بها ، فتفسد حياة الناس في الأرض ، وتنتشر الحروب والمهالك ، والزنا والربا ، ويمتد الظلم ، ويشتد الفقر على أناس ، ويغنى آخرون ، وتتفشى الأمراض مما لم تعهده عصور سابقة ، وتمتد الكوارث والزلازل ، وتصبح حياة الناس شقاء بين زخرف كاذب ؛ في فتنه بعد فتنه ، وبلاء من الله شديد .

على المسلم أن يستيقظ ليدرك حقيقة الأمانة التي خلق لها ، لينهض لها ولا يضيعها ، ولينظر حوله ليرى كيف ضيّعت الأمانة في الأرض ، وليعصم نفسه عن أن يكون عاملاً من عوامل تضييع الأمانة !

المسلمون اليوم مسئولون عن هذه الأمانة ، وعليهم أن ينهضوا لها ليوفوا بها ، من أجل سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة ، ومن أجل سعادة البشرية كلها ، ونجاتهم ونجاة من يريد الله له الهداية .

أيها المسلمون ! لا تضيعوا الأمانة ، ففي ضياعها ضياعكم ، أيها المسلمون ! إن أول الأمانة هي أن تكونوا أمة مسلمة واحدة ، صفاً كالبنيان المرصوص .

انظروا : كم من ديار المسلمين سقطت وضاعت ، وكم من الديار غاب عنها شرع الله ، وكم من الفتن تلتهم تلقي بالكثيرين في جهنم ، ممن لم يرد الله لهم الهداية والإيمان ، أين الأمة المسلمة المترصعة لتتخذ المسلمين ، وتتخذ البشرية ؟!

أيها المسلمون ! لا تضيعوا الأمانة ! لقد أضعنا الكثير منها ، فلا بد من وقفة ومحاسبة للنفس ، ومجاهدة لها .

قضايا كثيرة في حياة المسلمين مسها الخلل ، وأصابها الاضطراب ،

وبسبب ذلك ضاعت قضايا كثيرة في حياة المسلمين ، وأصابهم التفرق والتمزق ، وغلب المسلمون على أمرهم ، ووهن أمرهم ، وفقدوا مصادر القوة ، وأسباب العزة والمنعة ، فانظر في واقع المسلمين اليوم ، وما أصابهم من نكبات وفواجع ، عسى أن تستيقظ أنت أيها المسلم :

لماذا أكثر اللاجئين المتشردين ، هم من المسلمين ؟!

لماذا أصبح العالم الإسلامي يسمى العالم الثالث المتخلف ؟!

لماذا ضاعت فلسطين ؟!

أين البوسنة والهرسك ؟!

أين كوسوفا ؟!

أين كشمير ؟!

أين مسلمو ألبانيا ؟

أين الهند المسلمة ؟

أين بلدان أفريقيا المسلمة ؟!

لماذا سكان العالم الإسلامي كثير منهم فقراء ، وبلادهم غنية الثروة ؟!

لماذا ؟! ولماذا ؟! والأسئلة لا تنتهي ، وهل سينتهي المسلسل ؟!

فهل ضيّعت الأمانة ؟! كيف ضيّعت ؟ ولماذا ضيّعت ؟!

لقد ضاعت الأمانة لدى بعض الناس حتى في نجواهم و ضمائرهم ، وضاعت الأمانة من الكلمة لدى الكثيرين ، الكلمة التي يلقي بها الإنسان ، ثم يمضي لا يلقي لها بالاً ، فإذا هي تلقي به في جهنم ! الكلمة والفكرة قضيتان هامتان في حياة الإنسان على الأرض .

أمة مسلمة واحدة ، تحمل رسالة ربانية واحدة ، تتحلّى بالخصائص الإيمانية الربانية التي فصلها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

إنها الأمة المسلمة الواحدة ، والصف الواحد كالبنيان المرصوص ، بهذه الخصائص الربانية هي التي تحمل الأمانة في الأرض ، وهي المسئولة عن الوفاء بها ، وهي حاجة الإنسانية ، والبشرية كلها .

أيها المسلم ! إنك مسئول عن بناء الأمة المسلمة الواحدة ، حيثما كنت ، ومسئول عن إزاحة كل ما يعطل بناءها من فتن ، وعصبيات وأفكار دخيلة على الإسلام .

إنك مسئول أيها المسلم ! وكل مسلم مسئول ، عن إزالة أسباب الفرقة ، والتمزق بين المسلمين ، ليحققوا وجود الأمة المسلمة الواحدة بخصائصها الربانية .

إن أي لقاء ، أو وحدة ، أو تجمع ، على غير ما أمر الله سبحانه وتعالى ، ليس هو المقصود من "لقاء المؤمنين" ، إنه ليس لقاء إدارياً ، ولا لقاء حزبياً ، إنه لقاء رباني يجمع القلوب ، والعزائم على صراط مستقيم لا يضل عنه مؤمن صادق ، لأنه مستقيم ، وسبيل واحد لا يختلف عليه لأن الله جعله واحداً !

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً * فاتبعوه * ولا تتبعوا السبل * ففترق بكم عن سبيله * ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ . [الأنعام/١٥٣]

وكذلك : ﴿ قل : هذه سبيلي * أدعو إلى الله على بصيرة * أنا ومن اتبعني * وسبحان الله * وما أنا من المشركين ﴾ . [يوسف/١٠٨]

إنها مسئولية كل مسلم أن ينقي نفسه من أي أثر للعصبيات الجاهلية التي حرّمها الله ، ونهى عنها ، إنها مسئولية المسلم حتى يستطيع أن يساهم في بناء الأمة المسلمة الواحدة ، ولا يكون عنصر تفريق وتمزيق .

إنها جزء من الأمانة في عنق كل مسلم ، جزء هام سيحاسب عليه يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ولا يغني مولى عن مولى شيئاً .

فمنهما ينبثق العمل والنهج ، وعليهما يبنى كثير من الحقوق ، وبهما تعرف ميادين كثيرة من الأمانة !

الكلمة والفكرة سطا عليهما كثيرون يمزقونهما ، أو ينهبون جواهرهما يطلبون الدنيا ، وينافسون بالسرقه بعضهم بعضاً .

الأمانة في هذه الحياة الدنيا :

ضمير مؤمن صادق يحيا بها تصوراً وفكرة !

وكلمة أمانة قوية تعبر عنها !

ورسالة ربانية هي حقيقتها وجوهرها !

وأمة مسلمة كالبنيان المرصوص تحملها !

ودعوة وبلاغ للناس كافة ، وسعي وبذل ووفاء على صراط مستقيم إلى الجنة .

هكذا تمتد الأمانة من همسة صادقة ، ونجوى طاهرة إلى كلمة ورسالة ، ومؤمن صادق ، فأمة مسلمة واحدة ، فدعوة وبلاغ ، وجهاد على صراط مستقيم إلى الدار الآخرة .

الوفاء بالأمانة في الحياة الدنيا ينطلق بإعلان الشهادتين !

ثم يمتد إلى الوفاء بالشعائر وإعطائها حقها !

ثم يمتد الوفاء على صراط مستقيم بالنهوض إلى التكليف الربانية ،

يتمد الوفاء على صراط مستقيم إلى الهدف الأكبر والأسمى - إلى الجنة والدار الآخرة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلِمَةَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

و حياة المجتمع بدون الأمل ، حياة جامدة ميتة ، لا روح فيها ، ولا حراك (٢) ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "إنما الأمل رحمة من الله لأمتي ، ولو لا الأمل ما أرضعت أم ولدها ، ولا غرس غارس شجراً" رواه الخطيب عن أنس ... (٣) ، و لكن هل لمن مل الحياة ، وسئم العيش ، و ضاق ذرعاً بالأيام ، لشدة ما أصابه فيها ، من فقر أضجعه ، أو مرض أتخنه ، أو عاهة انتقصت من جوارحه ، وأعجزته ، أو خزي أذله ، أو هم أحزنه ، أو حبس قيده ، أو مستعمر استعبده ، ولو بصيص من الأمل ؟ وكيف !!!

لو علم أن الله في خلقه سنناً ، منها سنة التداول للأيام بين الأفراد والأمم ، وهي السنة التي قررتها الآية رقم/١٤٠ من سورة آل عمران ، قال تعالى : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ فالأيام دول وسجال ، والدهر يومان : يوم لك ، ويوم عليك ، والأحوال تتبدل ، والدنيا تتحول ، والعالم يتغير ، ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال ، و من الحال دوام الحال ، فكم من فرد تغير حاله إلى النقيض تماماً ، من غنى إلى فقر ، ومن فقر إلى غنى ، ومن عز إلى ذل ، ومن ذل إلى عز ، ومن يسر إلى عسر ، ومن عسر إلى يسر ، ومن صحة إلى مرض ، ومن سقم إلى عافية ، وما ينطبق على الأفراد ينطبق على الأمم ، فمن ينظر في أحوال الأمم و الشعوب يجد شعلة الحضارة انتقلت من أمة إلى أمة ، ومن يد إلى يد أخرى ، فقد كانت قيادة العالم قديماً في يد الشرق على أيدي الحضارات الفرعونية ، و الآشورية ، و البابلية ، و الكلدانية ، و الفينيقية ، و الفارسية ، و الهندية ، و الصينية ، ثم انتقلت إلى الغرب على يد الحضارة اليونانية و الرومانية ، ثم انتقلت هذه القيادة مرة أخرى إلى الشرق على يد الحضارة العربية الإسلامية ، ثم غفا الشرق وغفل عن رسالته ، فأخذ الغرب الزمام ، وكانت له القيادة مرة أخرى ، وسوف تعود -إن شاء الله- مرة أخرى إلى

دور الأمل
في بناء الحياة الإنسانية

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

[١]

الأمل شمس الحياة ونسبتها ، و زهرة الدنيا وبسبتها ، و لولاه ما كان العمل ، وما زرعت شجرة ، ولا أبيضت ثمرة ، و لا تفتحت في الروض وردة ، و لا حملت ، أم و لا وضعت ، و لا ربت ، و لا سهرت ، و ما حبا طفلاً ، و ما نما صبي ، و لا شب غلام ، و لولاه ما كانت حياة ، فالأمل قوة دافعة تبعث النشاط في الروح والبدن ، وتشرح الصدر للعمل ، وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب ، تدفع الكسول إلى الجهد ، والمجد إلى المداومة على جده ، والزيادة فيه ، تدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح ، وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه ، فالذي يدفع الزارع و الصانع والتاجر إلى الكدح و العرق ، وتحمل المخاطر أملهم في الحصاد و الربح ، و الذي يبعث الطالب إلى الجهد و المثابرة ، أمله في النجاح ، و الذي يحفز الجندي إلى الاستبسال ، أمله في النصر ، و الذي يهون على الشعب المستعبد تكاليف الجهاد ، أمله في التحرر ، و الذي يحب إلى المريض الدواء المر ، أمله في العافية ، و الذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ، و يطيع ربه ، أمله في رضوانه وجنته ، الأمل إذن هو إكسير الحياة ، ودافع نشاطها ، ومحفز ويلاتها ، و باعث البهجة والسرور فيها ، وهو شئ حلو المذاق جميل الحيا في ذاته سواء تحقق أو لم يتحقق .. (١) ، و حياة الفرد من غير شعاع الأمل أضيق من حلقة الخاتم ، بل من سم الخياط ، وقديماً قال الشاعر :

الشرق الإسلامي ، قال تعالى : ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ﴾ * و يستخلفكم في الأرض ﴿ [سورة الأعراف/١٢٩] ، وقال عز وجل : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر * أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [سورة الأنبياء/١٠٥] ، ومن سنن الله في خلقه أيضاً سنة تغير أحوالهم تبعاً لتغير ما بأنفسهم ، فالذين يتغيرون من الخير إلى الشر ، ومن الاستقامة إلى الانحراف ، ومن الصلاح إلى الفساد ، ومن البصيرة إلى العمى ، يغير الله ما بهم من حال النعمة إلى النقمة ، ومن القوة إلى الضعف ، ومن العزة إلى الذل ، ومن الرخاء إلى الشدة ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة * أنعمها على قوم * حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [سورة الأنفال/٥٣] ، والذين تتغير أنفسهم أو يتغير ما بأنفسهم من الشر إلى الخير ، ومن الضلالة إلى الهدى ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن الفساد إلى الصلاح ، ومن الكسل إلى العمل ، ومن الرذيلة إلى الفضيلة ، فهم أهل أن يغير الله حالهم أو يغير ما بهم من الضعف إلى القوة ، و من الذلة إلى العزة ، ومن الهزيمة إلى النصر ، ومن الخوف إلى الأمن ، ومن الاستضعاف إلى التمكين ، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة رقم/١١ من سورة الرعد ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم * حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ... (٤) .

لو علم أنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجاً .. (٥) ، ودائماً وأبداً يأتي الفرج والرخاء عند ذروة الشدة والابتلاء ، فعند ما تكون الشدائد أقوى ما تكون اشتداداً ، وامتداداً ، واسوداداً ، تكون أقرب ما تكون انقشاعاً وانفراجاً وانبلاجاً .. (٦) ، فحينما تحل المحن والشدائد بساحة المؤمنين ، و حينما تمسهم البأساء في الأموال ، والضراء في الأبدان ، والزلزلة في النفوس ، هناك يكون النصر أقرب ما يكون من المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة * ولما يأتكم * مثل الذين خلوا من قبلكم * مستهم البأساء * والضراء * وزلزلوا * حتى يقول

الرسول * والذين آمنوا معه * متى نصر الله * ألا إن نصر الله قريب ﴿ [سورة البقرة/٢١٤] ، يقول الرسول والمؤمنون من قومه : متى نصر الله ؟ استبطاء لجيئ النصر ، وهنا يطمئنهم الله بهذه الجملة الفاصلة التي ختم بها الآية الكريمة : ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾ ، ولكنه لا يعجل بعجلة أحدنا ، وكل شئ عنده بمقدار ، و بأجل مسمى ، و قال تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل * و ظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا * فنجى من نشاء * و لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ [سورة يوسف/١١٠] ، ويستدل من هذه الصيغة : ﴿ استيأس الرسل ﴾ على طول ارتقابهم للنصر ، فلم يجيئ في الوقت الذي كانوا يرغبونه ﴿ و ظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ الضمير في قوله تعالى : ﴿ ظنوا ﴾ يعود إلى الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل ، فهم ظنوا أن الله أخلف رسله ما وعدهم ، ولم يصدقهم الوعد ، وهنا تكون المفاجأة بعد الاستيأس من جانب الرسل ، و ظن السوء من جانب أقوامهم المشركين ، ﴿ جاءهم نصرنا * فنجى من نشاء ﴾ فهو يأتي أحوج ما يكون الناس إليه ، وأرغب ما يكون في وصوله .. (٧) ، وقال عز وجل في سورة الشورى/٢٨ : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ أي من بعد يأس الناس من نزول المطر ينزله عليهم ، في وقت حاجتهم وفقدهم إليه ، وهو المتصرف لخلقهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراتهم ، فبعد اليأس والقنوط يأتي الأمل والرحمة .. (٨) ، و من ثم استقر في عقول المسلمين ، و قلوبهم أن الأزمة ، كلما اشتدت و تفاقت آذنت بالانفراج ، و أن أحلك سويغات الليل سواداً ، هي السريعات التي تسبق الفجر .

وفي هذا قال الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت و كنت أظنها لا تفرج (٩)

لو علم أن مع العسر يسراً ، كما أخبر الله تعالى بذلك في سورة الشرح/٥-٦ ، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، كما قال تعالى في سورة الطلاق/٧ : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ ، وروي أبو داؤد ، وابن ماجه ، قوله عليه الصلاة والسلام : "واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً" .. (١٠) ، كما قال : "لو جاء العسر ، فدخل هذا الحجر لجاء اليسر ، حتى يدخل عليه ؛ فيخرجه" ، وعن الحسن أنه قال : خرج النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً فرحاً ، وهو يضحك ، وهو يقول : "لن يغلب عسر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين ، فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً" .. (١١) ، و لينظر كل منا إلى حياته ، وسيجد مصداق هذه الآية ملء عينيه ، وهي لا تحتاج إلى دليل لإثبات صدقها ، فقد يصاب الفرد بما يعسر عليه جانب أو أكثر من جوانب حياته ، ولكنها تيسر له في جوانب أخرى ، فعلى سبيل المثال تعسرت الدعوة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر بمكة وطرده منها ، ومن ثم تيسرت له في المدينة إقامة دولة مالات سمع التاريخ وبصره ، سجن أحمد بن حنبل وجلد فصار إمام السنة ، حبس ابن تيمية فأخرج من حبسه علماً جماً وجل فتاويه كتبها وهو محبوس ، ووضع السرخسي في قعر بئر معطلة ؛ فألف عشرين مجلداً في الفقه ، وأقعد ابن الأثير فصنف جامع الأصول ، والنهائية ، من أشهر وأنفع كتب الحديث ، ونفي ابن الجوزي من بغداد فجود القراءات السبع ، وكثير من علماء عصرنا ممن ذاع صيتهم لما تيسر لهم من تفوق بل ونبوغ في مجال العلوم الشرعية ، أو الدعوة ، أو الوعي ، أو التربية ، أو الفكر ، أو الأدب ، تعسر عليهم الحصول على شهادة علمية ، أمثال : الشيخ ابن باز ، ومالك بن نبي ، والعقاد ، والطنطاوي ، وأبي زهرة ، والمودودي ، والندوي ، وجمع كثير غيرهم ، وكثير من أذكى العالم وبحور الشريعة أصابهم العمى : كآبن

عباس ، وقتادة ، وابن أم مكتوم ، والأعمش ، ويزيد بن هارون ، وكثير من العلماء كانوا موالي : كعطاء ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والبخاري ، والتزمذي ، وأبي حنيفة ، وكثير ممن أثروا في التاريخ ، واثروا في حياة البشرية بالعلوم ، والاختراعات ، والكشوف من أذكى ، ومخترعين ، وعباقرة ، كان بهم عاهات ؛ فهذا أعمى وذاك أصم ، وآخر أعرج ، وثان مقعد ... (١٢) .

لو علم أن الأمل أملان ، أمل في الله ، وأمل فيما سواه ، وخير الأمل ما كان في الله سبحانه وتعالى ، وشر الأمل ما كان في سواه ، فمن يأمل في غير الله مهما كان المأمول فيه مال ، أو منصب ، أو صديق ، أو هيئة ، أو دولة ، فقد يحيب أمله ، ويفشل مراده ، وقد ضرب لنا القرآن الكريم ، مثلاً في هذا ، قال تعالى في سورة يوسف/٤٢ : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا * اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ * فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ * فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ فقد أنسى الشيطان ، سيدنا يوسف ذكر الله عز وجل ، وذلك عندما قال سيدنا يوسف لساقي الملك ، حين علم أن الساقي سينجو من السجن ، ويعود إلى حالته الأولى مع الملك ، قال له : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ نسي سيدنا يوسف في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ، ويستغيث به ، و جنح إلى الاعتصام بمخلوق ، فعوقب باللبث ، روي أن جبريل عليه السلام جاء ليوسف فعاتبه عن الله تعالى في ذلك ، وطول سجنه ، وقال له : يا يوسف من خلصك من القتل من أيدي إخوانك؟! قال يوسف : الله تعالى ، قال جبريل : فمن أخرجك من الحب؟ قال يوسف : الله تعالى ، قال جبريل : فمن عصمك من الفاحشة؟ قال يوسف : الله تعالى ، قال جبريل : فمن صرف عنك كيد النساء؟ قال يوسف : الله تعالى ، قال جبريل : فكيف وثقت بمخلوق ، وتركت ربك ، فلم تسأله؟! قال يوسف : يا رب ! كلمة زلت مني !! أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أن ترحمني ،

فقال له جبريل : فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين ... (١٣) بينما من يأمل في الله تجده إذا حارب كان واثقاً بالنصر ، لأنه مع الله ؛ فالله معه ، ولأنه لله ؛ فالله له : ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصفات/١٧٢-١٧٣] ، وإذا مرض لم ينقطع أمله في العافية : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي * فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ * فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء/٧٨-٨٠] ، وإذا اقترف ذنباً لم ييأس من المغفرة ، ومهما يكن ذنبه عظيماً ، فإن عفو الله أعظم ، قال تعالى في سورة الزمر/٥٣ : ﴿ قُلْ : يَا عِبَادِيَ ! الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ * لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ * إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً * إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وهو إذا أعسر لم يزل يؤمل في اليسر ، قال تعالى في سورة الانشراح/٥-٦ : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، وهو إذا انتابته كارثة من كوارث الزمن كان علي رجاء من الله أن يأجره في مصيبتيه ، ويخلفه خيراً منها : ﴿ الَّذِي إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ * وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة/١٥٦-١٥٧] ، وهو إذا عادى أو كره كان قريباً إلى الصلة والسلام راجياً في الصفاء والوثام مؤمناً بأن الله يحول القلوب : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ * وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً * وَاللَّهُ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المتحة/٧] ، وهو إذا رأى الباطل يقوم في غفلة الحق أيقن أن الباطل إلى زوال ، وأن الحق إلى ظهور وانتصار : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ * فَيَدْمَغُهُ * فَيَأْخُذُ بِهِ ﴾ [الأنبياء/١٨] ، فأما الربد * فيذهب جفاء * وأما ما ينفع الناس * فيمكث في الأرض ﴾ [الرعد/١٧] . وهو إذا أدركته الشيخوخة ، و اشتعل رأسه شيئاً لم ينفك يرجو حياة أخرى فيها شباب بلا هرم ، وحياة بلا موت ، وسعادة بلا شقاء ، قال تعالى في سورة مريم/٦١-٦٢ : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ * إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا * وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴾ .

لو علم أن الأمل سنة الأنبياء والمرسلين ، وهم صفوة خلق الله وقدوتهم ، فسيدنا يعقوب بعد أن طالت غيبة ولده يوسف عنه ، وبعدت مسافة الزمن بينه وبينه وكان جديراً أن يفقد الأمل في لقائه ، ثم فجع بحجز شقيقة من بعده في حادثة صواع الملك ، لكنه مع هذا لم يتسرب إلى فؤاده اليأس ، بل قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا * إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف/٨٣] ، وحين أبدى أسفه على ابنه يوسف ، قال له أبناءؤه : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَوْسُفَ * حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ : إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ * وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف/٨٥-٨٦] ، ثم ألقى إلى أبنائه بحقيقة ما في نفسه من أمل حلو تعززه الثقة بالله أن يجمع شمله بأبنائه ، فقال : ﴿ يَا بَنِيَّ ! اذْهَبُوا * فَتَحَسَّنُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ * وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ * إِنَّهُ لَا يَيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف/٨٧] ، وسيدنا موسى حين يسري بقومه لينجو بهم من فرعون وجنوده ، فيعملون بسراه ، و يحشدون الحشود ليدركوه * قال تعالى في سورة الشعراء/٦٠-٦٢ : ﴿ فَاتَّبِعُوهُمْ مَشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانَ * قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ وأي إدراك أكثر من هذا ؟ البحر من أمامهم والعدو من ورائهم !! يبد أن موسى لم يفرح ، ولم ييأس ، بل قال : ﴿ كَلَّا ! إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء/٦٣-٦٧] . ولم يضع أمله سدى ، قال تعالى في سورة الشعراء/٦٣-٦٧ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى * أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ * فَانْفَلَقَ * فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا * ثُمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى * وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾ ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان أوسع الناس أملاً في الغد ، ورجاء في النصر ، فقد ظل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو قومه إلى الإسلام ، فيلقون دعوته بالاستهزاء ، وقرآنه باللغو فيه ، وحججه بالأكاذيب ، وآياته بالتعنت

والعناد ، وأصحابه بالأذى والعذاب ، فما انطفأ في صدره الأمل ، اشتد أذى المشركين لأصحابه ، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وقال لهم في ثقة و يقين : ﴿ تفرقوا في الأرض * وأن الله سيجمعكم ﴾ ، وجاءه أحد أصحابه خباب بن الأرت ، وكانت مولاته تكوي ظهره بالحديد المحمى ، فضاق بهذا العذاب المتكرر ذرعاً ، وقال للرسول في ألم ألا تدعوننا لنا ؟ وغضب النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم لهذه العجلة من صاحبه ، وألقى عليه درساً في الصبر على بأساء اليوم ، والأمل في نصر الغد ، فقال : "إن الرجل قبلكم كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، وينشر بالمنشار فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، والذي نفسي بيده ليظهرن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون" ، وفي الهجرة من مكة ، وقد خرج منها خروج المطارد المضطهد الذي يغير الطريق ، ويأوي إلى الغار ، ويسير بالليل ، ويختفي بالنهار ، لا يملك من متاع الدنيا ما يعد به سراقه ابن مالك الذي يطارده ، رغبة في جائزة قريش ، غير الأمل ، فيقول له : "كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسري ؟" فيرد الرجل : كسري بن هرمز ؟! فيقول عليه الصلاة والسلام : "نعم ؛ كسري بن هرمز" وفي المدينة ، وفي أثناء اللحظات التي يساهم فيها مع أصحابه في حفر الخندق ، ليصدون بحفره الغزاة ، ويعوقون الطامعين العتاة ، يحدث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الغد المأمول ، والمستقبل المرجو حين يفتح الله عليهم بلاد كسرى بفارس ، وبلاد قيصر بالشام ، وبلاد اليمن بالجزيرة ، حديث الواثق المظمن الذي أثار أرباب النفاق ، فقالوا في ضيق وحنق : أن محمداً يعدنا كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الخلاء وحده ! أو كما قال القرآن الكريم : ﴿ وإذ يقول المنافقون * والذين في قلوبهم مرض * ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ [الأحزاب/١٢] ... (١٤) .

لو علم أن الله ورسوله قد وعدا بنصرة المؤمنين ، وانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبأن يعم الأرض الرخاء ، قال تعالى : ﴿ كان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [الروم/٤٧] ، وقال عز وجل : ﴿ ثم نجى رسلنا * والذين آمنوا * كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين ﴾ [يونس/١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ [الحج/٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ الله وليُّ الذين آمنوا ﴾ [البقرة/٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وأن الله مع المؤمنين ﴾ [الأنفال/١٩] ، روي تميم الداري ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (ليبلغن هذا الأمر "يعني : أمر الإسلام" ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ، ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر) [رواه أحمد والطبراني] ، ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار ، انتشاره في الأرض ، وهذا يتحقق وعد الله تعالى في كتابه : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى * ودين الحق * ليظهره على الدين كله ﴾ [التوبة/٣٣] ، ومعنى ظهوره على الدين كله غلبته على جميع الأديان ، وأكد هذه البشارة ما رواه المقداد بن الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل" [رواه أحمد والطبراني] ، وعن ثوبان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكاً ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر ، والأبيض" [الحديث : رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه] ، ومعنى : (زوى لي الأرض) أي قبضها وضمها وجمعها له عليه الصلاة والسلام ، حتى يراها جملة واحدة ، ويبشر هذا الحديث باتساع دولة الإسلام ، حتى تشمل المشارق والمغارب أي الأرض كلها ، وروي ابن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : "تقاتلكم اليهود ؛ فتسلطون عليهم ، ثم يقول الحجر : يا مسلم ! هذا

يهودي ورائي فاقتله" [متفق عليه] ، ومثله ما رواه أبو هريرة مرفوعاً : " لا تقوم الساعة ، حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي ؛ فتعال .. فاقتله" [رواه مسلم] ، إشارة إلى انتصار المسلمين على اليهود ، وفي حديث أبي موسى : "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه" [متفق عليه] ، ومثله حديث حارثة بن وهب : "تصدقوا .. فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته ، فلا يجد من يقبلها ، يقول الرجل : لو جئت بها بالأمس لقبقتها ، فأما اليوم ، فلا حاجة لي بها" [متفق عليه] ، دليل على ظهور الرخاء ، و رغد العيش ، و زوال الفقر من المجتمع بحيث لا يوجد فيه فقير يستحق الصدقة أو يقبلها ... (١٥) ، ولكن يجب علينا ألا نخلد إلى الدعة والكسل ، و ننتظر نصر الله ينزل علينا دون جهد نبذله ، و جهاد ممارسه ، و عمل دؤوب نقوم به في جوانب حياتنا كلها ، إن الرسالات لا تنتصر وحدها ، إنما تنتصر بأهلها ، و الحق لا يعلو وحده ، إنما يعلو برجاله ، و قد أرشدنا القرآن إلى أن نصر الله لا يكون إلا للمؤمنين ، و لا يتم إلا بالمؤمنين ، قال تعالى في سورة الأنفال/٦٢ ، يخاطب رسوله الكريم : ﴿ هو الذي أيدك بنصره * و بالمؤمنين ﴾ و الصحابة رضي الله عنهم كانوا موقنين كل الإيقان بأنهم منصورون ، و أن جندهم هم الغالبون ، و أن هذا وعد الله ، و لن يخلف الله وعده ، و لكن هذا الإيمان أو اليقين ، لم يقعدهم عن العمل ، و الجهاد ، و البذل الدائم ، حتى يتحقق وعد الله ، فإنا يتحقق وعد الله بهم لا بغيرهم ، فهم أدوات القدر في تحقيق الوعد الإلهي ، فلنمض إذن على بركة الله عاملين مصممين في صدق لا يعرف الزيف ، و ثبات لا يعرف التردد ، و عزم لا يعرف الكلل ، و يقين لا يعرف الشك ، و أمل لا يعرف القنوط ، و جهاد لا يعرف القعود ، قال تعالى في سورة العنكبوت/٦٩ :

﴿ والذين جاهدوا فينا * لنهدينهم سبلنا ﴾

المراجع :

- (١) الإيمان والحياة : يوسف القرضاوي : ص/١٦٤-١٦٥ .
- (٢) الوقت في حياة المسلم : يوسف القرضاوي : ص/٤١ .
- (٣) من وصايا الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم : طه عبد الله العفيفي : ١/١٧٤ .
- (٤) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ٨٣-٨٨ ، في الطريق إلى الله التوكل : يوسف القرضاوي : ص/١٠٦ ، من وصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : طه عبد الله العفيفي : ص/٢٠٣ .
- (٥) الجامع لأحكام القرآن الكريم : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٢٠ ، ص/١٠٧ .
- (٦) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة : محمد عبد الستار اليميني : ص/٧٢ ، لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٣٢٦ ، ٣٩٠ .
- (٧) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/١٨-١٩ .
- (٨) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ج/٤ ، ص/١١٥ ، الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٢٠ ، ص/١٠٧ .
- (٩) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٢٠ .
- (١٠) كيف تنال السعادة الحقيقية : سعيد عبد العظيم : ص/١٠٧ .
- (١١) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ج/٤ ، ص/٥٢٥ .
- (١٢) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٢٨ و ٤٨ و ١٥٦ و ٢٤٤-٢٤٥ .
- (١٣) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٩ ، ص/١٩٥-١٩٦ .
- (١٤) الإيمان والحياة : يوسف القرضاوي : ص/١٦٨-١٧٤ .
- (١٥) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/١٨ و ٢٧-٢٨ ومن ص/٣١ إلى ٣٥ .

وأما كون الرجم عقوبة أقسى فهذه ليست أقسى إذا نظر إلى حالة الزاني الذي هو متزوج ، ويعيش مع زوجته ، ومع ذلك أنه طرقت باب الحرام ، فمعنى هذا أنه لم يُقدم عليه حاجة ، وإنما لسوء طيبته ، وخبث سريرته ، فالذي هذا هو حاله يستحق إلقاء أقسى عقوبة عليه من عقوبة البكر الذي أقدم عليه - ربما - حاجةً واندفاعاً .

وأما "أن تقرير عقوبة أقسى ليس من حق الرسول" فهذه دعوى تحتاج إلى دليل غير ما ذكره المؤلف ؛ لأن تقرير الرجم إن كان يبدو قساوة في حق الزاني ، فهو رحمة في حق الآخرين الذين قد يُعدون بالملايين الذين يجبون أن ينجوا من شر ذلك الرجل ، وتأمين أعراض نسائهم من تديس هؤلاء الأشرار ، وخبثاء الطينة والسريرة .

وأول من أنكر الرجم هم الخوارج الذين اتخذوا من القرآن مصدراً وحيداً ، بناءً على فكرتهم الشاذة بتكفير الصحابة الذين رضوا بالتحكيم في معركة صفين ، وهم معظمهم ، فكل ما جاء عن طريق أولئك الصحابة ، هم رفضوه ، ومنها حديث الرجم ، وتلقف منهم من تلقف هذه الفكرة ، وطورها حسب ما أعطي من قوة بيان أو قوة حيلة .

٩- الأحاديث التي تنذر بعقاب رهيب على أخطاء طفيفة ، و أحاديث تعد بنعيم مقيم لكل من يتلو أوراداً أو يصلي نوافل ؛ مرفوضة ، لمخالفتها لمبادئ العدالة ، وأصول الإسلام ، ورفض بهذه القاعدة ، حديث : "صب الآنك في أذن من استمع إلى الغناء" ، وحديث : "توعد المرأة بالعذاب الأليم إذا تطيبت أو تزينت أو خرجت من بيتها" .

مخالفة الحديث لمبادئ العدالة ، وأصول الإسلام قاعدة تبنها المحدثون قبل المؤلف للحكم على الحديث بالوضع ، ولكنها ليست ليطبقها أي واحد ، وذلك للأمور التالية :

١- إن كون الحديث مخالفاً لمبادئ العدالة ، وأصول الإسلام دعوى

جمال البنا وموقفه من السنة

بـقلم : الدكتور محمد أبو الليث الخير أبادي [٤/الأخيرة]

٨- أحاديث جاءت بما لم يأت به القرآن ، نحكم عليها في ضوء القرآن ، فما لا يخالف القرآن يقبل ، وما يخالفه يستبعد ، فحديث : "تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها" ، و "تحريم لحوم الحمر الأهلية" مقبولان ؛ لأنهما يمثلان قياساً سليماً . وكذلك حديث : "المسح على الخفين" أيضاً مقبول كرخصة من حق الرسول تقريرها ، لأنه "رحمة للعالمين" ، ولكننا نتوقف عند حديث الرجم ، لأنه يخالف النصوص القرآنية عن الزنا ، و لأنه يمثل عقوبة أقسى مما جاء به القرآن ، وهذا ليس من حق الرسول .

القاعدة التي ذكرها المؤلف ، هي قاعدة المحدثين ، وليست قاعدته هو ، ولكن تطبيقها على حديث الرجم في محل نظر ؛ لأن كل ما جاء به الحديث أنه خصص الآية بحالة البكر ، بعد أن كانت عامة للبكر و المحصن ، والتخصيص لا يُعتبر مخالفة في عرف الشرع ، ولا في عرف اللغة (١) ، و المؤلف نفسه قائل بالتخصيص ، ثم إن كان حديث الرجم القولي آحاداً ، فحديث الرجم الفعلي (الذي هو السنة عند المؤلف ، كما تقدم بيانه) قد شاهده الناس ، ونقل بالتواتر العملي ، فلا مجال لإنكاره ، ومع ذلك إن أصر المؤلف على إنكاره ، فنسجله في مفارقاته .

(١) والتخصيص ، هو : "قصر النص على بعض ما يشمله لفظه على سبيل التفسير والبيان لمراد الشارع ، لا على سبيل التغيير" .

فضفاضة ، وغير منضبطة بضابط ، لا مفهوم العدالة ، و لا مفهوم المخالفة ، ولا مشروحة بنحو معياري يكفي به فحسب لتمييز الصحيح من الضعيف ؛ لأن الحديث الذي رآه شخص مخالفاً لمبادئ العدالة حسب فهمه المطعم بالظروف و الحالات ، قد يراه شخص آخر عين العدالة حسب فهمه المنطبع بالظروف و الحالات كذلك .

٢- إن العدالة بين العمل و الجزاء ليس لها مقياس خاص يحدد لنا أن لكذا من القدر لنعمل ، كذا من القدر للجزاء ، فإذا تجاوز ذلك الحد ؛ فيحكم عليه بالظلم ، أو الإفراط ؛ لأن هناك آيات قرآنية تصرح بإطلاق ضعف الجزاء على عمل ، أو بأضعاف كثيرة ، أو بتحديد عشرة أمثال :

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ * فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ * فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا * وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . [الأنعام/١٦٠]

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ * وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقِيمُونَ * إِذَا مَنِءَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا * فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ ضَعُفٌ بِمَا عَمِلُوا * وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ . [سورة سبأ/٣٧]

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا * فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً * وَاللَّهُ يَقْبِضُ * وَيَبْسُطُ * وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . [البقرة/٢٤٥]

(وانظر : الحديد/١١، ١٨ ، والتغابن/١٧)

﴿ كَمِثْلِ حَبَّةِ آتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ * وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ * وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . [البقرة/٢٦١]

﴿ قَالَ : ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ * قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ * كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا * حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا * قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ * رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا * فَآتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ * قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ * وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أَوْلَادُهُمْ لِأُخْرَاهُمْ * فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ * فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ . [الأعراف/٣٨-٣٩]

﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ * يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ * مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ * وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة هود/٢٠]

ففي هذه الآيات الكريمات وعد من الله تعالى بضعف الثواب على الحسنة بعشر أمثالها ، و وعيد بضعف العقاب على المعصية ، فأين مبادئ العدالة تلك في الثواب و العقاب ؟ وكيف يفسر المؤلف هذا الاختلال في التوازن ؟ هل نقول : إن الله لم يقله ، كما عمله المؤلف في الأحاديث ، أم نفسره بنحو لا يرد عليه ذلك السؤال ، كما فعله المحدثون !! لذلك نقول : إن تلك القاعدة فقط لا يكفي لرفض الحديث ، و إلا سنقع في عدة مشاكل لا تحمد عقباه .

بعد هذا التمهيد الذي رأينا التنبيه عليه من واجباتنا نأتي إلى الحديثين اللذين رفضهما المؤلف بتلك القاعدة :

حديث : " صب الآنك في أذن من استمع إلى الغناء " هذا الحديث ليس بهذه الألفاظ ، وإنما روي بلفظ آخر ، وهو : عبد الله بن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن المنكدر ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من جلس إلى قينة ، فسمع منها ، صب الله في أذنيه الآنك يوم القيامة " (١) .

وأخرج ابن عساكر فقال : " أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر ، أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أحمد ابن صصري ، أنبأنا تمام بن محمد ، أنبأنا أبو الحسن بن حذلم ، حدثنا أبو بكر الصوري بدمشق - واسمه محمد بن إبراهيم - حدثنا أبو نعيم الحلبي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مالك بن أنس ، عن محمد بن المنكدر ، عن أنس قال : قال رسول الله

(١) ابن حزم : المحلى : ٥٧/٩ ، وقارن بلسان الميزان لابن حجر : ٣٤٨/٥ .

صلى الله عليه وسلم : "من استمع إلى قينة ، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة" .
وأخرجه ابن عساكر بسند آخر ؛ فقال : أخبرناه علياً أبو محمد
هبة الله بن أحمد المزكي ، وعبد الكريم بن حمزة ، قالا : أنبأنا أبو القاسم
الحنائي ، حدثنا أبو الحسين الكلابي ، أنبأنا أبو سعيد بن عبد العزيز ، حدثنا
أبو نعيم عبيد بن هشام ، حدثنا ابن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن محمد
ابن المنكدر ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
"من قعد إلى قينة يستمع منها ، صب الله في أذنيه الآنك يوم القيامة" (١) .

فهذه ثلاثة أسانيد لهذا الحديث مدارها كلها على "أبو نعيم عبيد بن
هشام الحلبي" ، قال فيه أبو حاتم : "صدوق" (٢) ، وقال أبو يعلى الخليلي :
"صالح" ، وقال في مكان آخر : "ثقة" (٣) ، وقال أبو داؤد : "ثقة إلا أنه
تغير في آخر أمره ، لقن أحاديث ليس لها أصل ، لقن عن ابن المبارك عن
معمر عن الزهري عن أنس حديثاً منكراً" (٤) ، وقال أبو أحمد الحاكم :
"حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها" (٥) ،
وقال المزني : "وأخرج الدارقطني في الغرائب عن ابن المبارك ، عن مالك ،
عن محمد بن المنكدر ، عن أنس رفعه : "من قعد إلى قينة يستمع منها ، صب
في أذنيه الآنك يوم القيامة" ، قال الدارقطني : "تفرد به أبو نعيم ، ولا يثبت
هذا عن مالك ، ولا عن ابن المنكدر" (٦) .

وبعد أن روى ابن حزم ذلك الحديث ، قال : "هذا حديث موضوع ،

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق : ٢٦٣/٥١ .

(٢) ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل : ٥/٦ .

(٣) أبو يعلى الخليلي : الإرشاد : ٢٦٨/١ ، و ٤٧٧/٢ .

(٤) (٦-٥-٤) المزني : تهذيب الكمال : ٢٤٤/١٩ ، وانظر : تهذيب التهذيب

- لابن حجر : ٧٠/٧ .

مركب ، فضيحة ، ما عرف قط من طريق أنس ، ولا من رواية ابن المنكدر ،
ولا من حديث مالك ، ولا من جهة ابن المبارك ، وكل من دون ابن المبارك
إلى ابن شعبان مجهولون ، وابن شعبان في المالكيين نظير عبد الباقي بن مائع
في الحنفيين ، قد تأملنا حديثهما ؛ فوجدنا فيه البلاء البين ، والكذب البحت ،
والوضع اللائح ، و عظيم الفضائح ، فإما تغير ذكرهما [أي حفظهما] ، أو
اختلفت كتبهما ، وإما تعمدتا الرواية عن كل من لا خير فيه من كذاب ،
ومغفل يقبل التلقين" .

وقال ابن حجر تعقيماً على قول ابن حزم : "ولم يصب في دعواه
أنهم مجهولون ؛ فإن أبا نعيم ، و يزيد بن عبد الصمد مشهوران ، وقد تقدم
في ترجمتي إبراهيم بن عثمان ، وأحمد بن المعمر ما يغني عن الإعادة ، وقد
أخرج الدارقطني الحديث المذكور في غرائب مالك من طريقين آخرين
عن أبي نعيم ، و قال : تفرد به أبو نعيم عن ابن المبارك ، و لا يثبت هذا عن
مالك ، ولا عن ابن المنكدر" (١) .. والله أعلم ..

الحاصل أن هذا الحديث غير ثابت سنداً ، لذلك فالحديث إما
ضعيف جداً ، أو موضوع كما قال ابن حزم ، وقد قال الإمام أحمد فيه :
"هذا حديث باطل" (٢) ، وقال الشيخ الألباني : "موضوع" (٣) .

أما كونه موضوعاً حسب معيار المؤلف ، فلا لأن الجلوس إلى قينة ،
ومشاهدة رقصها ، والاستماع منها ، كل هذه مفرجة للشهوات ، يخشى
منها فساد الشباب والمجتمع ، وخراب الأسر وتشردها ، فالتعود بصب
الآنك على مثل ذلك الغناء جد مناسب ، و لا اختلال للتوازن بين

(١) ابن حجر : لسان الميزان : ٣٤٨/٥ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية : ٣٠٠/٢ ، رقم ١٣١١ .

(٣) ضعيف الجامع الصغير (وفيه برواية ابن عساكر) : ١٦٤/٥ ، رقم ٥٤١٨ .

العمل والجزاء .
وأما حديث تطيب المرأة ، فليس بالشكل الذي عرضه المؤلف ، وإنما هو بلفظ : "أما امرأة استعطرت ، فخرجت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها ، فهي "زانية" (١) ، وحديث آخر بلفظ : "إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان" (٢) .
فالحديث الأول لم يصف المرأة بالزانية على مجرد تطيبها ، أو على مجرد تزينها ، أو على مجرد خروجها من البيت ، كما هو في عرض المؤلف ، وإنما وصفها بالزانية على خروجها متطيبة ، و تعمدتها بالمرور على أناس من الرجال ليجدوا ريحها ، فهي بهذه الصور كأنها تدعوهم إلى نفسها ، فحينئذ ناسب أن توصف هذه المرأة بالزانية مآلاً ، وهذا معروف في كلام العرب .

وأما الحديث الثاني : فلا يمنعها من الخروج ، ولا يتوعدها بوعيد ، ولكن ينصحها بأخذ الحذر والحيطه في خروجها من البيت في لباسها وكلامها ، ومشيتها وحرركاتها ، بحيث يرى أن هذه المرأة ذات شرف وقار ، و حشمة وعظمة ، كيلا تشرئب إليها الأعناق ، وتعاقبها الأنظار ، ولا يطمع فيها أحد ، بينما المرأة التي تخرج متزينة متعطرة ، متمائلة متزاهية ، رامية بابتساماتها هنا وهناك ، فلا تأمن شر الشياطين من الإنس ، ولا الشياطين من الجن ، وهذا هو الواقع ، وهذه هي الحقيقة .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک : ٣٩٦/٢ ، وقال : "صحيح الإسناد" ، وأقره الذهبي .

(٢) أخرجه الترمذي : كتاب الرضاع ، باب رقم/١٨ ، حديث رقم/١١٧٣ ، وقال : "حسن غريب" .

١٠- يرى المؤلف، أن الأحاديث التي جاءت عن الأكل والشرب ، و اللبس و الزني ، و السير و الركوب وغيرها من شؤون الحياة لا تعد ملزمة .

علماء الحديث والفقهاء أيضاً يقولون بذلك ، فهم لا يلزمون الناس بقصة معينة في اللباس ، إن كان ساتراً ، و أما في الأكل والشرب ، فكل ما جاء هو من محاسن الآداب ، وجميل الخصال ، إن كان حلالاً ، وبطريقة غير مضره بصحة الإنسان .

هكذا لاحظنا أن معيار المؤلف : "محاكمة الأحاديث إلى القرآن لقبولها ورفضها" معيار لم يصمد أمام مفارقاته ومعارضاته ، والحق يقال : إن محاكمة الأحاديث إلى القرآن والعقل أمر لا بد منه ، ولكن لمعرفة معانيها ، واستقامة العمل بمقتضاها ، لا للتحقق من صحتها وقبولها كمقياس عام لذلك ، وبشكل مستمر ، فإنه أمر مغاير منهجياً ، بل ياباه الواقع ، ولهذا قال الإمام الشافعي : "إن القول به جهل" (١) .

وبما أن من الأحاديث ما يؤكد لما جاء في القرآن ، وما يفسره تقييداً لإطلاقه ، أو تخصيصاً لعامه ، أو شرحاً لإجماله ، وما يزيد عليه ، فإننا نحتاج إلى الأحاديث لمعرفة معانيها ، واستقامة العمل بمقتضاها .

* * *

والآخر وهو (نا أن) (الحمد لله رب العالمين)

* * *

(١) اختلاف الحديث له في هامش الأم : ٤٥/٧ .

الخدري ، عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (١) .
وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن محمد بن عمارة ، عن
حسن بن مالك ، عن محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس به ، وأخرجه أيضاً
عن طريق أحمد بن محمد الطوسي ، عن محمد بن كثير به (٢) .
ورواه ابن أبي حاتم - كما ذكره ابن كثير في تفسيره - عن الحسن
ابن عرفة ، عن محمد بن كثير به (٣) .
وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الجنيد بطريقه إلى محمد بن كثير
الكوفي به ، ولفظه : "احذروا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ .. إلخ" (٤) .
وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة الجنيد بن محمد بطريقه
إلى محمد بن كثير الكوفي به (٥) .

و ذكر حديث أبي سعيد الخدري هذا ابن الجوزي في الموضوعات ،
وقال : تفرد به محمد بن كثير ، عن عمرو ، قال أحمد بن حنبل : خرقنا
حديثه ، وقال علي بن المديني : كتبنا عنه عجائب وخططت علي حديثه ،

(١) الخوارزمي : أبو المؤيد محمد بن محمد ، جامع مسانيد الإمام أبي حنيفة : ١ / ،
دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة والسنة غير مذكورتين .

(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن الكريم : ٣١/١٤ ،
دار الفكر بيروت ١٩٧٨ م .

(٣) ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم : ٥٥٥/٢ ، دار الفكر ،
الطبعة والسنة غير مذكورتين .

(٤) الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :
٩٤/٤ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط/٣ ، سنة ١٩٨٠ م .

(٥) الخطيب : أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
٢٥٠/٧ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط/١ ، سنة ١٩٩٧ م .

تخريج حديث :

((اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ))

بقلم : الأستاذ محمد زاهد
(الجامعة الإسلامية الإمدادية - باكستان)

يكثر ذكر حديث : "اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ، فإنه ينظر بنور الله"
خاصة في تراجم أولئك الذين زكوا أنفسهم بإطاعة الله ، و إطاعة رسوله ،
و آتاهم الله ذكاء و صفاء قلب ، و قد يظن البعض أن الحديث ضعيف ، إنما
يذكره بعض الغالين للإطراء في مدح بعض الصوفية من غير تحقيق ، من هنا
دعت الحاجة إلى تخريج الحديث ، و البحث عن حكمه ، ومرتبته من الناحية
الفنية الحديثية ، هذا الحديث مروى عن خمسة من الصحابة ، و إليكم عرضاً
سريعاً لذلك :

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : قال الترمذي : حدثنا محمد
ابن إسماعيل ، قال : حدثنا أحمد بن أبي الطيب ، قال : حدثنا مصعب بن
سلام ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فإنه ينظر بنور الله" ، ثم
قرأ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ، ثم قال الترمذي : هذا حديث
غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه (١) .

والحديث رواه أيضاً أبو حنيفة ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد

(١) الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى ، الجامع ، كتاب التفسير ، سورة الحجر .

وضعه جداً (١) .

لكن محمد بن كثير هذا لم يتفرد برواية هذا الحديث عن عمرو بن قيس ، بل تابعه مصعب بن سلام عند الترمذي - كما ذكرناه - ، وتابعه سفيان عند البخاري في تاريخه ، كما ذكره السيوطي في اللآلي المصنوعة (٢) .
ومصعب بن سلام مختلف فيه ، ضعفه علي بن المديني ، وقال أبو حاتم : محله الصدق ، ولا ابن معين فيه قولان (٣) ، ومحمد بن كثير ، وإن ضعفه الأكثرون ، لكن مشاه ابن معين ، وقال : شعبي ، لم يكن به بأس (٤) ، فكلاهما يصلح أن يعتضد روايته بمتابعة الآخر إياه ، وأيضاً قد تابع أبو حنيفة عمرو بن قيس في روايته عن عطية ، كما مر .

فمدار الحديث - إذن - هو عطية العوفي : ضعفه أحمد و هيشم ، و أبو حاتم ، و أبو داؤد ، قال ابن معين : صالح ، قال أبو زرعة : لين ، قال أبو حاتم : ضعيف يكتب حديثه ، قال ابن حجر : "وكان ثقة - إن شاء الله - ، وله أحاديث صالحة" (٥) ، وأعظم ما نُقِم عليه ما ذكره ابن حبان في الضعفاء أنه سمع من أبي سعيد أحاديث ، فلما مات جعل يجالس الكلبي ، و كناه أبا سعيد ، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري ، و إنما أراد الكلبي (٦) ، لكن في نفس القصة تصريحاً بأنه سمع من أبي سعيد الخدري

(١) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي ، الموضوعات الكبرى : ١٤٧/٣ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى .

(٢) السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر ، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية : ٣٢٩/٢ ، المكتبة التجارية الكبرى .

(٣) الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال : ١٢٠/٤ ، المكتبة الأثرية (سانكلا هل - باكستان) .

(٤) ميزان الاعتدال : ١٧/٤ .
(٥-٦) العسقلاني : ابن حجر ، تهذيب التهذيب : ٢٢٥/٧ - ٢٢٦ ، دائرة المعارف النظامية ، الدكن ، ط/١ ، سنة ١٣٢٦ هـ .

أيضاً أحاديث ؛ فكل ما رواه عطية عن أبي سعيد يحتمل أن يكون عن الكلبي ، و يحتمل أن يكون سمعه من الخدري ، ومع وجود هذين الاحتمالين لا يصح الاستدلال بحديثه ، وإذا ورد الحديث من طرق أخرى دلّ على أنه مما سمعه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، فالت في الحكم على هذا الحديث موقف على دراسة ما إذا كان الحديث وارداً عن طرق أخرى ، أم لا ؟ . وهذا ما سنحاوله في الصفحات الآتية :

حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، قال الطبراني : حدثنا بكر بن سهل ، ثنا عبد الله بن صالح ، ثنى معاوية بن صالح عن راشد بن سعد ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، قال : "اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله" (١) .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن سليمان بن أحمد ، عن بكر بن سهل بإسناد الطبراني و لفظه (٢) ، و رواه القضاعي بطريقه إلى محمد بن عوف ، عن عبد الله بن صالح مثله (٣) ، وأعله محقق مسند الشهاب حمدي عبد المجيد بضعف راشد بن سعد ، ومعاوية بن صالح ، وعبد الله بن صالح ، لكن راشد بن سعد وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم ، والعجلي ، ويعقوب بن شيبه ، والنسائي ، ويحيى بن سعيد ، وابن سعد وغيرهم (٤) .

(١) الطبراني : المعجم الكبير : ١٠٢/٨ ، رقم الحديث/٧٤٩٧ ، ترجمة راشد بن سعد ، دار إحياء التراث العربي ، ط/٢ ، سنة ١٩٨٥ م .

(٢) حلية الأولياء : ١١٨/٦ .

(٣) القضاعي : أبو عبد الله محمد بن سلامة ، مسند الشهاب : ٣٨٧/١ ، برقم/٦٦٣ ، تحقيق : حمدي عبد المجيد ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط/١ ، سنة ١٩٨٥ م .

(٤) يراجع : تهذيب التهذيب : ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ .

وأما ما ذكره ابن حجر في التقريب من أنه كثير الإرسال ، فهذا لا يعد جرحاً ، وأيضاً : المراد هنا ما رواه راشد عن أبي الدرداء ، وسعد بن أبي وقاص ، كما يتضح ذلك من "تهذيب التهذيب" ، وهذا الحديث ليس من روايته عنهما ، بل عن أبي أمامة رضي الله عنه .

ومعاوية بن صالح ، هو الحضرمي من رجال مسلم والأربعة ، وهو وإن كان لا يرضاه يحيى بن سعيد ، لكن وثقه أحمد ، وابن معين ، وعبد الرحمن بن مهدي ، والعجلي ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وابن سعد ، وابن خراش ، وابن عدي ، والبزار ، وذكره ابن حبان في الثقات (١) .

وعبد الله بن صالح من رجال أبي داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والبخاري في التعليقات ، صدوق كثير الغلط ، كما في التقريب ؛ فحديثه لا ينحط عن درجة الحسن ، فالحديث : إذن ، حسن ، وقد حسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢) .

حديث ابن عمر رضي الله عنه : قال ابن جرير الطبري : حدثني أحمد ابن محمد الطوسي ، قال : ثنا الفرات بن السائب ، قال : ثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله" (٣) .

وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية بطريقه إلى عمارة بن عقبة عن الفرات بن السائب به ، وقال : "غريب من حديث ميمون ، لم نكتبه إلا من هذا الوجه" (٤) ، وقرأت هذا ضعفه ابن معين ، والبخاري وغيرهما (٥) ؛

فالحديث إذن ضعيف .

حديث ثوبان : قال ابن جرير الطبري : حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، قال : ثنا سليمان بن سلمة ، قال : ثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، قال : ثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي ، قال : ثنا وهب بن منبه عن طاؤس بن كيسان ، عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "احذروا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله ، وينطق بتوفيق الله" (١) ، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالضعف (٢) .

حديث أبي الدرداء موقوفاً : روي عن أبي الدرداء من قوله : "اتقوا فراسة العلماء ؛ فإنهم ينظرون بنور الله ، إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم" ، ذكره الزبيدي في الإتحاف ، وعزاه إلى العسكري ، وحكم عليه بالضعف (٣) .

حديث أنس رضي الله عنه : قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، ثنا سعيد بن محمد الجرمي ، حدثنا أبو بشر يقال له : ابن المزلق ، قال : وكان ثقة ، عن ثابت عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم" (٤) .

ورواه أيضاً ابن جرير الطبري عن عبد الأعلى بن واصل ، ثنا سعيد بن محمد الجرمي ، قال : ثنا عبد الواحد بن واصل ، ثنا أبو بشر

(١) تفسير الطبري : ٣٢/١٤ .

(٢) السيوطي : الجامع الصغير : ٣٢/١ ، رقم الحديث/٢٤٣ ، دار الفكر بيروت .

(٣) الزبيدي : محمد مرتضى ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين :

٥٤٥/٦ ، دار الفكر ، الطبعة والسنة غير مذكورتين .

(٤) تفسير ابن كثير : ٥٥٥/٢ .

(١) يراجع : تهذيب التهذيب : ٢١٠/١٠ - ٢١١ .

(٢) الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد : ٢٧١/١٠ ، مؤسسة المعارف - بيروت سنة ١٩٨٦ م .

(٣) تفسير الطبري : ٣٢/١٤ .

(٤) حلية الأولياء : ٩٤/٤ .

(٥) ميزان الاعتدال : ٣٤١/٤ .

المزلق به (١) ، وذكره ابن كثير أيضاً في جامع المسانيد والسنن (٢) ،
وحسنه الهيثمي (٣) ، والزبيدي (٤) .

وبهذا العرض السريع لطرق حديث : "اتقوا فراسة المؤمن" يتلخص
لنا أن الحديث مروى عن أبي سعيد الخدري ، وأبي أمامة ، وابن عمر
وثوبان ، وروى عن أبي الدرداء موقوفاً ، وروى ما يدل على معناه عن
أنس مرفوعاً ، وحديث أبي أمامة حسن الإسناد ، وحديث أبي سعيد
الخدري صالح لأن يعتضد بمجيبه من طرق أخرى ، وحديث أنس أيضاً
حسن ، فالحديث بمجموعه إما حسن لذاته أو صحيح لغيره ، قال الشوكاني :
"وعندي أن الحديث حسن لغيره ، وأما صحيح ؛ فلا" (٥) .

على أي حال ، الحديث صالح لأن يحتج ويستشهد به ، ويتأيد معناه
بنفس الآية المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو قوله
تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ، ثم قال تعالى بعدها : ﴿ وإنها
لسبيل مقيم * إن في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ ؛ فدل على أن هناك علاقة
بين الإيمان ، والتوسم ، وهو التفرس . والله أعلم .

* * *

وَأَلِّفُوا بَيْنَهُمْ مَوَدَّةَ اللَّهِ
وَالْحُرِّمَاتِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ

* * *

(١) تفسير الطبري : ج/١٤ ، ص/٣٢ .

(٢) ابن كثير : جامع المسانيد والسنن : ج/١١ ، ص/٢٧٢ .

(٣) مجمع الزوائد : ج/١٠ ، ص/٢٧١ .

(٤) تحاف السادة المتقين .

(٥) الشوكاني : الفوائد المجموعة : ص/٢٤٤ .

الذهب الحنفي والتحديات المعاصرة

[١]

بقلم : الأستاذ محمد فهيم أختر الندوي
مدرس الشريعة العلمية بمعهد الفقه الإسلامي - الهند

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين
وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

هذه الصفحات التي نقدمها تحت عنوان : "المذهب الحنفي
والتحديات المعاصرة" قسمتها على بابين : الباب الأول بعنوان : "المذهب
الحنفي - تطوراً وتحليلاً" ، وهو يحتوي على ثلاثة فصول تالية :

الفصل الأول - نبذة عن المذهب الحنفي :

الفصل الثاني - خصائص ومميزات :

الفصل الثالث - التطور والتحليل :

ثم يعقبه الباب الثاني بعنوان "التحديات المعاصرة - بحثاً وتظلعاً"
وهو أيضاً يشتمل على فصول ثلاثة :

الفصل الأول - اتجاهات :

الفصل الثاني - مشكلات :

الفصل الثالث - تطلعات :

و قد جعلت محطات البحوث ، ومقاطع الكلام مفصلة ، ومميزة
بفقرات ذات أرقام متسلسلة تسهياً للمراجعة .

وهذه ليست إلا أفكاراً مطروحة للبحث ، والنقاش بهدف التوصل
إلى الاقتراح الأحسن ، والأجمع في معالجة المشكلات التي نواجهها في عصر

الصراعات الفكرية والاتجاهات المتوعدة ، و بذلك لعلى أكون قد قدمت إسهاماً في خدمة الشريعة الإسلامية الغراء .

الباب الأول : المذهب الحنفي - تطوراً وتحليلاً

الفصل الأول : نبذة عن المذهب الحنفي :

١- مصطلح "الفقه الإسلامي" لم يكن في عصر النبوة - على صاحبها ألف ألف تحية - ولم يكن طبقة مخصوصة للفقهاء ، إنما كانوا يسمون : "القراء" ، مع أن مشتقات كلمة : "الفقه" لم تكن غريبة ، كانوا يتلون الآية القرآنية : ﴿ فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة * ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم * إذا رجعوا إليهم * لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة/١٢٢] ، ودعا النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم ، لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، بقوله : "اللهم فقهه في الدين" (١) ، وبدأ مصطلح "الفقه" يظهر ويتشكل في عصر الصحابة بتميز بعض الصحابة المعروفين بالفقه و الفتيا مثل عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم (٢) ، ثم في عصر التابعين مثل اشتهار فقهاء المدينة السبعة (٣) ، وتميز وجود مدرستين : إحداهما : بالحجاز ، والأخرى : بالعراق (٤) .

٢- كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، زعيم مدرسة العراق ، وهو الذي سيره عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وكتب إلى أهلها أنني قد

(١) البخاري : كتاب الوضوء ، باب وضع الماء عند الخلاء .

(٢) الشيخ محمد خضري بك ، تاريخ التشريع الإسلامي : ص/٦٧ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥ م .

(٣) وهبة الزحيلي : تقديم الفقه الإسلامي وأدلتة : ص/٢٨ ، دار الفكر ، دمشق ، ط/٢ ، ١٩٨٥ م .

(٤) وزارة الأوقاف : الموسوعة الفقهية ، مقدمة : ص/٢٧ ، طبعة الكويت ١٩٨٣ م .

بعثت عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً وزيراً ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي (١) ثم من بعده تلاميذه ، و أشهرهم علقمة النخعي ، ثم من بعده إبراهيم النخعي ، ثم من بعده حماد شيخ أبي حنيفة ، وكان بالكوفة أغلب قضايا علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، وكان إبراهيم وأصحابه يرون أن عبد الله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس في الفقه (٢) .

وكان أبو حنيفة يلزم بمذهب إبراهيم وأقرانه لا يجاوزه إلا ما شاء الله ، وكان عظيم الشأن في التخريج على مذهبه دقيق النظر في وجوه التخريجات ومقبلاً على الفروع أتم إقبال (٣) ، وعلى يد الإمام أبي حنيفة وتلامذته العظام ، مثل : أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري [١١٢-١٨٣ هـ] ، و محمد بن الحسن الشيباني [١٣٢-١٨٩ هـ] ، و زفر بن الهذيل [١١٠-١٥٨ هـ] ، و الحسن بن زياد اللؤلؤي [٢٠٤ هـ] ، تم تدوين الفقه الحنفي ، وهؤلاء الأربعة هم الذين انتشر بهم الفقه الحنفي وتلقاه الناس عنهم (٤) .

٣- أمهات كتب المذهب الحنفي مرتبة على طبقات ثلاث :

١- مسائل الأصول أو ظاهر الرواية :

وهي الكتب الستة المعتمدة المروية عن الإمام محمد برواية الثقات بالتواتر أو الشهرة ، وهي : ١- المبسوط ، ٢- الزيادات ، ٣- الجامع الصغير ، ٤- الجامع الكبير ، ٥- السير الصغير ، ٦- السير الكبير .

(١) خضري بك : تاريخ التشريع الإسلامي : ص/٩٨ .

(٢) ولي الله الدهلوي : حجة الله البالغة : ج/١ ، ص/٤١٤ ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٩٢ م . (٣) المرجع السابق : ج/١ ، ص/٤١٩ .

(٤) خضري بك : تاريخ التشريع الإسلامي : ص/١٨٢ ، طبعة بيروت سنة ١٩٩٥ م .

وقد جمع الحاكم الشهيد [٣٤٤هـ] هذه الكتب الستة في مختصر الكافي، ثم شرحه السرخسي في كتاب المبسوط في ثلاثين جزءاً، (١)، يقول شيخ الإسلام ولي الله الدهلوي: "صنف محمد رحمه الله... و نفع كثيراً من الناس؛ فتوجه أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه إلى تلك التصانيف تلخيصاً وتقريباً، أو شرحاً، أو تخريجاً، أو تأسيساً، أو استدلالاً، ثم تفرقوا إلى خراسان وما وراء النهر" (٢).

٢- مسائل النوادر:

وهي المروية عن الامام محمد لا في الكتب المذكورة، بل في الكتب الأخرى له كالكيسانيات، و المهارونيات، و الجرجانيات، و الرقيات، و المخارج في الخيل، و زيادة الزيادات رواية ابن رستم، أو في كتب غير محمد كالخحر للحسن بن زياد، و كتب الأمامي المروية عن أبي يوسف.

٣- الفتاوى و الواقعات:

وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون، لما سئلوا عنها، ولم يجدوا فيها، رواية عن أهل المذهب المتقدمين، مثل: كتاب النوازل للفقير أبي الليث السمرقندي، و مجموع النوازل و الواقعات للناطقى، و الواقعات للصدر الشهيد ابن مسعود.

٤- خلال عرض تاريخ المذهب الحنفي واستعراضه، لا بد من ملاحظة الوضع الذي تم فيه تدوين هذا المذهب الجليل، فمن الحقيقة الملموسة أن كل مذهب من المذاهب الفقهية تأثر ببيئة و ظروف بلدته، و امتاز عن الأخرى لأسباب كانت متوافرة بها.

(١) وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، تقديم: ج/١، ص/٤٩، طبعة دمشق سنة ١٩٨٥ م.

(٢) ولي الله الدهلوي: حجة الله البالغة: ١/٤٢٠، طبعة بيروت ١٩٩٢ م.

العراق كان يومئذ موطن الفتن، فيه الشعوبيون الذين يكون العداء للإسلام، و الملاحدة الذين لا يفتوون يثرون الشبهات، و غلاة الرافضة الذين بالغوا في حب علي، و الخوارج الذين يكرهون علياً، و شيعة، بل ويستبيحون دماء المسلمين الذين على غير نحلتهم (١)، و بدأت الفرق تضع الأحاديث لتأييد نحلتهم، هذا في جانب، و في جانب آخر لم يكن العراق و الكوفة على السذاجة و البساطة، مثل: الحجاز، كانت الحضارتان العربية و الفارسية تعتقدان به (٢)، و جابه أهله بكثير من القضايا و المشكلات الجديدة التي لم يكن يعهد بها أهل الحجاز، و في جانب ثالث كانت طبائع أهل العراق مختلفة عن طبائع أهل الحجاز، و ما كان عليه العرب من السذاجة، فكان يعجبهم التدقيق و الفروضات و النقاش في كل قضية، و هذه بعض الأسباب التي جعلت فقهاء الكوفة يتحرون في الرواية و يدققون فيها، و يضعون شروطاً لم يلتزمها أهل الحجاز، و أعطت المذهب المدون فيها طابعاً خاصاً نذكر بعض تفاصيله في الفصل الآتي:

الفصل الثاني - خصائص و مميزات:

٥- الميزات و الخصائص للمذهب الحنفي التي تميزه عن المذاهب الفقهية الأخرى يوجد بعضها في الأحكام الفرعية المنتشرة في شتى أبواب الفقه الحنفي، و بعضها الآخر في أصول الفقه الحنفي، ولا يهمني هنا إلا الخصائص التي توجد روحها سائرة في مختلف الأحكام الفرعية لشتى أبواب الفقه، و يلاحظ أنها خصائص غالبية، و لا يقطع بعدم إمكانية و- و د حكم

(١) مقدمة الموسوعة الفقهية: ص/٢٨، طبعة الكويت سنة ١٩٨٣ م، و أبو زهرة:

أبو حنيفة: ص/٨٣، دار الفكر العربي، ط/٢، سنة ١٩٤٨ م.

(٢) أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية: ج/٢، ص/١٣١-١٣٢، دار الفكر

العربي، بدون تاريخ.

فرعي يبدو معارضاً لواحد من هذه الخصائص ، و يكون مبتتياً على مصلحة أخرى ، أو دليل مخصوص ، وفيما يلي هذه الخصائص :

٦-أ- رعاية الحرية الشخصية :
هذه أهم الخصائص في الفقه الحنفي ، قلما يماثله مذهب آخر فيها ، نجد هذه الخصيصة ماثلة في إعطاء المرأة البالغة حق تزويج نفسها بدون إذن وليها عند أبي حنيفة (١) ، أما المذاهب الفقهية الأخرى ؛ فحرية المرأة أصبحت فيها محدودة جداً في باب النكاح .

وكذلك في منع الحجر على السفية ، فعند أبي حنيفة لا يحجر على السفية ويسلم إليه ماله إذا بلغ خمساً وعشرين سنة ، وقبل ذلك يعتبر بتصرفاته القولية في ماله ، (٢) ، وكذلك المدين المفلس لا يحجر على تصرفاته عند أبي حنيفة ، (٣) ، وعند الفقهاء الآخرين لا يسلم إلى السفية ماله ، ولا تنفذ تصرفاته في ماله ، وكذلك يحجر على المدين المفلس ، فلا يجوز أي تصرفاته في ماله ، ويحق للقاضي بيع ماله جبراً ، ويستدل أبو حنيفة في ذلك بأن الحجر عليه إهدار لحرية ولكلامه ولآدميته (٤) .

٧-ب- الاحتياط في حقوق الله :

و من أمثلة ذلك اعتبار الكلام في الصلاة ، ولو كان سهواً ، والقراءة من النظر في المصحف مفسداً لها ، والقهقهة في الصلاة ناقضاً

(١) الهداية ، كتاب النكاح ، باب في الأولياء والأكفاء ، أبو زهرة : أبو حنيفة : ص/٣٩٩ .

(٢) الهداية : كتاب الحجر ، باب الحجر للفساد ، أبو زهرة : أبو حنيفة : ص/٤٠٥ .

(٣) الهداية : كتاب الحجر ، باب الحجر بسبب الدين .

(٤) أبو زهرة : أصول الفقه ، طبعة دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ،

أبو حنيفة : ص/٤١١ .

للوضوء ، و وجوب الترتيب في مناسك الحج يوم النحر ، و وجوب الكفارة على إفتار الصوم بأي وجه كان من الأكل ، أو الشرب ، أو الجماع ، والتشديد في باب حرمة المصاهرة حيث اعتبر الزنا ودواعيه سبباً لوجوب الحرمة ، وفي باب حرمة الرضاع اعتبر مطلق الرضاع ، ولو كان قطرة موجباً للحرمة .

٨-ج- تجنب نسبة الإثم إلى المسلم :

هذه الخصيصة نجدها أكثر بروزاً في مسألتين : مسألة : تكفير المسلم ، ومسألة : إثبات النسب ، فلا يكفر مسلم ، حتى ولو كان في أمره وجه واحد للإيمان من تسع وتسعين وجهاً للكفر ، كذلك في مسألة ثبوت النسب ، يقول القاضي أبو زيد الدبوسي :

"الأصل عندنا أن العبرة في ثبوت النسب لصحة الفراش ، وكون الزوج من أهله لا بالتمكن بالوطي ، وعند الشافعي العبرة في النسب التمكن من الوطي حقيقة" (١) .

٩-د- التوافق مع العقل والمبادئ العامة :

نجد في أحكام المذهب الحنفي مراعاة التوافق مع مبادئ ، وأصول الدين ، والانسجام مع العقل ، فمن الأصل الثابت في الشريعة كون بدن الإنسان طاهراً ، وعدم التنجس من المس منه ، وهو موافق للعقل أيضاً ، و لذلك لا ينقض الوضوء عند أبي حنيفة من مس الذكر والمرأة ، ولا مما مسته النار .

١٠-هـ- مراعاة اليسر والسهولة :

في كثير من الأحكام الفقهية في المذهب توجد هذه الخصيصة ، فمثلاً اعتبر معظم الفقهاء النجاسة مطلقاً منافية للصلاة ، ولكن الإمام

(١) الدبوسي : تأسيس النظر : ص/١٥٩ .

أبا حنيفة قسم النجاسة إلى الغليظة والخفيفة ، واعتبر في الغليظة مقدار الدرهم ، وفي الخفيفة ربع المصاب بها معفواً عنه في الصلاة ، وترك تحديد القليل والكثير في الماء على رأي المتبلى به ، كذلك يكفي عنده لأداء الزكاة إعطاؤها لفرد واحد في أي مصرف من مصارفها .

١١-و- الدقة في أحكام التجارة :

لم تكن النصوص الواردة في باب التجارة بالتفصيل ، وإحاطة الأحكام الجزئية عنها ، مثلما يوجد في باب العبادات ، والمناكحات ، مبادئ وتوجيهات أساسية كانت موجودة ، ومعبرة عن مقاصد الشريعة فيها ، لتكون المعاملات والمبادلات التجارية على جانب كبير من اليسر والسهولة ، وأكثر انسجاماً مع تغير أساليب العقود والأعراف .

ومن المعلوم أن أبا حنيفة كان من كبار تجار ثياب الخبز ، عارفاً بدقائق أساليب التجارة ، وأسباب المنازعات فيها ، لذلك امتازت أحكام التجارة في الفقه الحنفي بتفاصيل دقيقة ، وأحكام جزئية ، وتوجيهات مفصلة جداً ، لم تكن توجد بهذه الشمولية ، والدقة في المذاهب الفقهية الأخرى ، الأمر الذي جعل الفقه الحنفي أكثر استجابة للمستجدات المتنوعة ، والمعقدة التي نشاهدها اليوم في باب التجارة ، ومثال ذلك تفاصيل الشروط في بيع السلم ، وعدم جوازه في اللحم ، وعدم وجوب القبض في بيع العقار والتفصيل في جواز الاحتكار وتحريمه .

١٢-ز- المدارة مع أهل الأديان الأخرى :

توجد سعة ومراعاة كبيرة مع أهل الأديان الأخرى في المذهب الحنفي ، وهو يتضح من الأصل الذي ذكره القاضي أبو زيد الدبوسي :
"الأصل عند أبي حنيفة أن ما يعتقد أهل الذمة ، ويدينونه يتركون عليه ، وعندهما لا يتركون" .
[تأسيس النظر : ص/١٣]

ومن أمثلة ذلك أن الذمي يقتل بالمسلم ، وكذلك المسلم يقتل بالذمي عند أبي حنيفة ، وكذلك دية المسلم ، والذمي سواء عنده .
الفصل الثالث - التطور والتحليل :

١٣- تطور المذهب الحنفي ، ونهض نهضته الرائعة بعد عهده التأسيسي السابق (١) ، و ظهر فقهاء عظام كانت لهم مساهمات جلية في إثراء المكتبة الإسلامية بثرات فقهية زاخر ، وكان التوجه الغالب فيها إلى تصانيف الإمام محمد رحمه الله تليخياً ، أو تقريباً ، أو شرحاً ، أو تخريجاً ، أو تأسيساً ، أو استدلالاً (٢) ، حتى بدأ يظهر الركود في حركة الاجتهاد حتى منتصف القرن السابع الهجري ، وانتهى إلى الجمود فيما بعده من العهود (٣) .

١٤- بما أن عجلة الحياة غير متوقفة ، فدوران رحاها يطرح الأحداث ؛ فالأحداث من مقتضياتها ، الأمر الذي يحتم على فقهاء العصر تقديم حلول لمشكلاتها ، واستجابة اقتضائها ، سواء كان الجهد الفردي منهم أو الجماعي ، وإذا كان استنباط الأحكام للقضايا المستحدثة ، وتغير الأحكام بناء على تغير الأعراف ، وتلمس الشروط لتطبيق النصوص قرآناً أو سنة على الحوادث ، هي بعض العناوين للمجهودات الفردية على مر العصور ، فيمكن ملاحظة مثالين بارزين للجهد الجماعي ، متمثلين في تدوين الفتاوى العالمية ، ومجلة الأحكام العدلية .

١٥- تدوين الفتاوى العالمية :

الفتاوى العالمية : وهي المعروفة أيضاً باسم الفتاوى الهندية ،

(١) الزرقاء : المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/١٧١ ، طبعة تاسعة ١٩٦٧/١٩٦٨م دار الفكر دمشق .

(٢) ولي الله الدهلوي : حجة الله البالغة : ٤٢٠/١ ، طبعة بيروت ١٩٩٢م .

(٣) الزرقاء : المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/١٨٦ .

اشترك في تأليفها كبار علماء الهند (١) برئاسة الشيخ نظام الدين بأمر من الملك من السلالة المغولية محمد أورنغ زيب عالمكير [١١١٨هـ]، وانتخبوا من جميع كتب المذهب الحنفي أهم ما فيها من الأحكام مع عزو كل حكم إلى مصدره (٢) معرضين عن الدلائل والشواهد إلا دليل مسألة يوضحها أو يتضمن مسألة أخرى (٣)، و كان ذلك أول خطوة ناجحة نحو تدوين الفقه الإسلامي (٤)؛ فجاءت هذه الفتاوى الهندية مرتبة على ترتيب الهداية، وشاملة لأبواب العبادات والمعاملات.

١٦- تدوين مجلة الأحكام العدلية:

في القرن التاسع عشر الميلادي أرادت الدولة العثمانية تقنين القانون المدني، مثل: البلدان الأوربية الأخرى (٥)، فصدرت إرادة سنية سلطانية بتأليف لجنة لوضع مجموعة الأحكام الشرعية، وقدمت لجنة التدوين تقريرها إلى الصدر الأعظم علي باشا في غرة محرم سنة ١٢٨٦هـ - الموافق ١٨٦٩م، جاء فيها عن مقصد التدوين: "إن علم الفقه بحر لا ساحل له، واستنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية، ومملكة كلية، وعلى الخصوص مذهب السادة الحنفية؛ لأنه قام فيه مجتهدون كثيرون متفاوتون في الطبقة، و وقع فيه اختلافات كثيرة... فتميز القول الصحيح بين تلك المسائل والأقوال المختلفة، وتطبيق الحوادث عليها عسير جداً" (٦).
تم تأليف هذه المجموعة في سنة ١٢٩٣هـ - الموافق ١٨٧٦م، وسميت "مجلة الأحكام العدلية"، وهي منتقاة من قسم المعاملات من فقه المذهب الحنفي،

(١) وزارة الأوقاف - الكويت: الموسوعة الفقهية: ص/٥٢٠، سنة ١٩٨٣م.

(٢) الزرقاء: المدخل الفقهي العام: ج/١، ص/١٩٠.

(٣) الفتاوى العالمكيرية: ج/١، ص/٣، طبعة باكستان ١٩٨٣م.

(٤) تنزيل الرحمن: مجموعة قوانين الإسلام: ١/١٢، طبعة باكستان، سنة ١٩٨٧م.

(٥) شير محمد خان: تقديم على ترجمة أردية لشرح المجلة للأتاسي، طبعة باكستان ١٩٨٦م.

(٦) علي حيدر: دور الأحكام شرح مجلة الأحكام، ترجمة عربية للمحامي فهمي الحسيني:

ج ١، ص/٩، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.

مرتبة مباحثها على الكتب، والأبواب الفقهية المعهودة، ولكنها فصلت الأحكام بمواد ذات أرقام متسلسلة كالقوانين الحديثة، وجاء مجموعها في ١٨٥١/مادة، وصدرت الإرادة السنية السلطانية في شعبان سنة ١٢٩٣هـ - بلزوم العمل بها، وتطبيق أحكامها في محاكم الدولة (١).

١٧- جهود التقنين في الدول المختلفة:

في وسط القرن العشرين بدأت بلدان المسلمين تتحرر من الاستعمار الغربي، وتتوجه إلى تطبيق القانون الإسلامي فيها، فظهرت تطلعات نحو تقنين، وتدوين الأحكام الفقهية، تمثلت في جهود مخصصة مبذولة في شتى البلدان العربية والإسلامية، مثل: باكستان، والسودان، وإيران، ومصر، والليبي (٢)، والعراق، والسورية، وتونس، والأردن، والمغرب (٣).

١٨- إلغاء مجلة الأحكام العدلية:

ومن الغريب هنا أن العصر الذي كان يشهد في شتى بقاع الأرض صحوة إسلامية كبيرة متمثلة في تحرر بلدان المسلمين من الاستعمار الغربي، وفي بذل مجهودات جبارة لتقنين، وتدوين الأحكام الفقهية تحقيقاً لحاجة تطبيق الشريعة فيها، هو العصر الذي تقع فيه حادثة كبيرة، وأليم، وخطيرة في تاريخ المسلمين الطويل، حادثة إلغاء الخلافة العثمانية التي كانت رغم كل ضعفها علامة لوحدة المسلمين في العالم كله، زالت هذه العلامة في سنة ١٩٢٥م، وألغى نظام الخلافة، وبقي المسلمون بلا نظام اجتماعي، وبلا خليفة لهم، وهم كذلك حتى الآن، ولا ندري إلى أي مدة يستمر هذا الفراغ الأليم، وقد سحب إلغاء الخلافة هذا إلغاء مجلة الأحكام العدلية من تركيا، ثم تسابع إلغاء أحكام المجلة المطبقة في عديد من البلدان الإسلامية في فترات مختلفة، هذا الواقع الغريب المزدوج لا نستطيع أن نجد له تاويلاً غير المؤامرة الخفية الدقيقة ضد المسلمين الذين أصابهم عين الفرقة، وضاعت وحدتهم السابقة.

[للحديث بقية]

(١) مصطفى أحمد الزرقاء: المدخل الفقهي العام: ١/١٩٨.

(٢) محمود أحمد غازي: مسودة قانون القصاص والدية: ص/٢-٣، طبعة باكستان ١٩٨٦م.

(٣) تنزيل الرحمن: مجموعة قوانين الإسلام: ١/٩-١٤، طبعة باكستان ١٩٨٧م.

و ملحقتهما ، كانت علة تحريمه : إنهاك البدن والحد من نشاطه ، والحيلولة بينه وبين أداء ما كلف به من أعمال غير أعمال العبادة ، فضلاً عن إتلاف المال دون فائدة ، وقد يكون الإنسان محتاجاً إلى ثمن الدخان في حاجاته ، وحاجات من يعولهم ؛ وحينئذ يكون فيه عدوان على الحقوق المشروعة للغير .

و يدخل في دائرة الدخان : السجائر ، و السيجار ، و المعسل ، و التبناك ، و الجراك - الذي يدخن في الجزيرة العربية - ، و التباكو ، و ما شاء به ذلك (١) .

رأى الطب في التدخين :

يجيب الدكتور حمدي الأنصاري بقوله (٢) : التدخين ؛ هو التدخين سواء أكان سيجارة أو غليوناً أو شيشة .. وآثار التدخين الصحية معروفة : فهو يوهن القوة ، ويضعف البصر و القلب ، ويسبب الكثير من الأمراض ، مثل : تسوس الأسنان ، و التهاب اللثة ، و احتقان الحلق و السعال ، و النزلات الصدرية ، و الدرن ، و السرطان .

ويسبب التدخين : التهاب الأحبال الصوتية ، و السعال ، و البلغم ، و النزلات الشعبية المزمنة ، و ضيق التنفس ، و آلام الصدر ، و ضعف القدرة على القيام بأي مجهود ، و التمدد ، و الانتفاخ الرئوي ، و سرطان الرئة .

ويؤدي التدخين إلى التأثير المباشر على الغشاء المخاطي المبطن للجهاز الهضمي ، و إلى التأثير غير المباشر عن طريق الجهاز العصبي ،

(١) هذا حلال ، وهذا حرام : عبد القادر أحمد عطاء : ص/١٤٤ - بتصرف - ،

الطبعة الثانية ، دار التراث العربي سنة ١٤٠٠هـ .

(٢) المجلة العربية : العدد/١٩٩ ، شعبان ١٤١٤هـ : ص/٣٥ ، باب : "أسئلة

طبية" .

التدخين من وجهة نظر الفقه والطب :

التدخين .. وأثره الضار على الفرد واجتمع

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(الخبير الدولي للثقافة بالإيسكو)

يتساهل الكثيرون - في ديارنا - بظاهرة التدخين ، على الرغم من التحذيرات الكثيرة بضرر التدخين ، وأقربها تلك التي بين يدي المدخن - نفسه - على بعض علب التبغ : (التدخين .. ضار جداً بالصحة) ، ولكن .. هناك من الأمور التي قد تغيب عن كثير من المدخنين أوردتها في هذا المقال الذي يجمع بين حكم الشرع ، ورأى الطب ، ودليل العلم على خطورة التدخين ، علماً تجد من المدخنين قبولاً ، فيقلعون - بعون الله - عن هذه العادة الضارة لهم ، ولكل من حولهم !

حكم الشرع في الدخان :

يقول الله تعالى : ﴿ يحل لهم الطيبات * ويحرم عليهم الخبائث ﴾ .

[الأعراف/١٥٧]

فالتدخين يعد من الخبائث ، حيث إن جميع أنواع الدخان تحدث فتوراً في الأعضاء ، فتدخل في النهي عن كل مفتر في حديث أبي داود ، ومسلم ، والدارقطني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كل مسكر حرام ، وكل مسكر حرام" ، وقوله صلى الله عليه وسلم في ما أخرجه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما أسكر كثيره ؛ فقليله حرام" .

ولكن لما كان الفتور من الدخان غير مساو للفتور من الحشيش والأفيون

فيسبب الغثيان ، والميل للقي مع قلة الشهية لتناول الطعام ، وعسر الهضم ، وقرحة المعدة ، والالتهابات المزمنة للجهاز الهضمي ، والإمساك ، وما يصاحبه من صداع يقلل من نشاط الإنسان وحيويته .
ويؤدي التدخين إلى الفتور والاسترخاء ، وسرعة التعب ، وقلة النوم ، والنسيان ، وارتعاشات الأطراف مما يساعد على زيادة إصابات العمل الدقيقة ، وحوادث السيارات ، وضعف الإنتاج لدى العمل ، و ضعف التحصيل الدراسي لطلاب المدارس ، وضعف الجهد عند الرياضيين .
كما يصيب التدخين : القلب والجهاز الدوري بالأمراض حيث تبدأ المتاعب في الظهور عند منتصف العمر في صورة نوبات قلبية حادة قد تؤدي إلى الموت المفاجئ ، وقد تحدث إصابة بالعينين بسبب التغيرات والترسبات في غشاء القرنية نتيجة تعرضها للالتهابات ، كما يحدث ضعف في الإبصار مع ارتفاع في ضغط العينين بسبب تأثير الشعيرات الدموية المنتشرة في شبكية العين مبكراً بالتدخين .

وبسبب وجود أول أكسيد الكربون في الدخان يفسد التوازن الكيماوي للدم ؛ فيؤثر على خلايا المخ التي تحتاج في نشاطها إلى نقاء الدم اللازم لصفاء التفكير ، والقدرة على الاستيعاب ، كما أن تأثير التدخين على الجهاز الدوري والعصبي يؤدي إلى سرعة التعب ، وعدم القدرة على التركيز مما يؤثر على مستوى التحصيل الفكري .
أثر التدخين على غير المدخنين :

لا شك أن الشخص المدخن في البيت أو المكتب (داخل أو مبنى) سواء كان أباً أو أخاً أو موظفاً يضر نفسه في المقام الأول ، إلا أنه في الوقت نفسه يضر غير المدخنين من عائلته المقيمين معه في البيت أو من زملائه من غير المدخنين الجالسين معه في العمل .

ويحدث الضرر نتيجة لإشعال سيجارته التي تزيد عدد جسيمات الغبار في هواء المكان الذي يجلس هو فيه ، ومن معه من غير المدخنين ، وبازديادها يزداد التصاق جسيمات النوبات الصلبة المشعة عليها ؛ وبهذا يزداد استنشاق كل من يجالس المدخن من أقاربه وزملائه غير المدخنين للغبار الناتج ، والحامل للإشعاع الطبيعي ، ويكون ضررهم أكثر من ضرر المدخن ذاته ، لأن جسيمات النوبات الصلبة المشعة تطلق كامل أشعتها إلى جدار الجهاز التنفسي النظيف (لغير المدخن) ، فتصيب الخلايا مباشرة ، بينما الجهاز التنفسي للمدخن مغطى بطبقة من القطران الأسود الذي يكون عازلاً ، ولذا قد لا تصل الأشعة المنطلقة من الهواء نفسه للخلايا مباشرة .

ونحب أن ننوه هنا إلى أن طبقة القطران نفسها ، هي مصدر للإشعاع المستمر للخلايا الملامسة لها ؛ وذلك لأن القطران على جدار الرئة يتكون من ترسبات الدخان المستنشق ، والحامل للمواد المشعة ، لأن تركيز الإشعاع في طبقة القطران أكثر منه في الهواء ، ولذا فإن أحد أسباب زيادة حدوث سرطان الرئة بين المدخنين هو أثر طبقة القطران ، وما ينتج عنه .

وإذا رضى المدخن أن يضر نفسه من خلال إشعال سيجارته ، وبمحض إرادته رغم أن ذلك يخالف قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ ، فما ذنب طفله البريء أو أبيه أو زوجته في بيته ، أو جليسه في العمل الذي يجبره على استنشاق الهواء الحامل لجسيمات غبار سيجارته ، ومن ثم الإشعاع المحمول على هذه الجسيمات التي بدورها قد تكون مصدراً محتملاً لإحداث سرطان الرئة بين أحبته ، و معلوم أن حدوث سرطان الرئة يزداد بازدياد تركيز الغبار المستنشق ، وبازدياد الإشعاع المحمول عليه .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإثباتات العلمية قد حملت كثيراً من الولايات الأمريكية على سنّ قوانين لمنع التدخين ، داخل أماكن العمل ،

وفي الأسواق ، وفي وسائل النقل لمنع تضرر غير المدخنين بدون رغبتهم ،
ودون علمهم (١) .

كيف تقلع عن التدخين ؟ :

وللإقلاع عن التدخين عليك أن تستخدم إرادتك ، فتحاول إرجاء
إشعال السجارة إذا امتدت يدك إليها ، ولا تشفط الدخان عميقاً داخل
صدرك ، وارم الثلث الأخير من السجارة ، والامتناع عن المشروبات
المرتبطة بالتدخين : كالشاي والقهوة ، ولا تذهب إلى الأماكن التي يوجد
بها الأصدقاء المدخنون ، ومارس هواية مثل القراءة أو أي نوع من الرياضة ،
واشرب كميات كبيرة من المياه فور انقطاعك عن التدخين ، وتجنب
الاختلاط بالمدخنين ، وارضض السجارة التي يقدمها لك الآخرون ، ولا
تحمل علبة السجائر معك .

وفي النهاية : إعلم أنه لا يوجد دواء يمنعك عن التدخين ، ولكن
إرادتك فقط - إن أردت - هي الوسيلة الفعالة للامتناع النهائي عن
التدخين ، فجزب والله معك ، والله التوفيق .

* * *

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

✽ ✽ ✽

(١) الإشعاع الطبيعي والتدخين : د/فلاح أبو جراد : ص/٢٣ (مقال منشور بمجلة :
"القافلة" .

صوره أوضح :

الترخيص الذاتي للقتل

بقلم : الأستاذ واضح رشيد الحسن الندوي

هذا هو عنوان مقال صدر في مجلة : "إكونامست" البريطانية ،
انتقدت فيه المجلة سياسة إسرائيل لما سمته المجلة باغتيال الفلسطينيين ،
واعترفت المجلة بالإجراءات التي تقترح حكومة شارون اتخاذها لقمع
الانتفاضة ، إجراءات تؤدي إلى مزيد من سفك الدم ، فكشبت تقول : إن
التعبير الذي تستخدمه إسرائيل كإجراء رادع ضد الإرهابيين ، هو بمنتهى
البساطة "اغتيال" ، فقد قتل خلال تسعة أشهر ماضية ، والأرقام تتزايد
يوماً ، أربعون فلسطينياً ، في عمليات القصف بالصواريخ ، وإطلاق النار
من قبل الشرطة ، وانفجار القنابل ، وإن كانت إسرائيل لا تقبل مسؤولية
سائر هذه العمليات ، وقد قتل ستة أشخاص من الأعضاء النشطين لحركة
الفتح لياسر عرفات ، في انفجار أخير ، ولم تقبل إسرائيل أن له يداً فيه ،
ولكن من يستطيع أن ينكر يد إسرائيل في حادثة ٣١/يوليو التي قتل فيها
كبار رجال حماس في "نابلس" مع ستة آخرين ، ومن بينهم طفلان صغيران .
وتبرر إسرائيل هذه الاغتيالات كإجراء للدفاع عن النفس ، وتقول
إن هذه العمليات لها أهداف معينة ، وتوجه هذه الضربات إلى رجال
مقصودين ، يقومون بعمليات إرهابية ضد إسرائيل ، وإنهم يقتلون لأن
عرفات فشل في إيفاء التزاماته ، بالسيطرة عليهم ، والواقع أن نصف عدد
الذين اغتيلوا ينتمون إلى الحركة الإسلامية ، إما إلى حماس ، وإما إلى
حركات إسلامية صغرى - كالجهاد الإسلامي ، ويرى الفلسطينيون أن
بعض هؤلاء القتلى لم تكن لهم أي صلة بالعمليات العسكرية ، وإنما كانوا
مشغولين في النشاطات السياسية ، ولم تكن هؤلاء المنكوبين أي مساهمة

فعلية في العمليات العسكرية ضد إسرائيل ، ويدعى الجيش الإسرائيلي ، وهو كلام غير عادل ، أن السياسة تقوم على "تيكتيك" دفاعي ، وأنها ترمى إلى تحديد حجم الخسائر .
ويقول صاحب المقال : "إن القتل يؤدي إلى القتل ، لأن القتل يثير عاطفة الانتقام ، وإذا استمرت هذه السلسلة ، فإنها تؤدي إلى خسائر متواصلة ، و تكون نتائجها وخيمة ، ولا تؤدي هذه العمليات إلا إلى توسيع دائرة الكراهية والمرارة ، ويسقط مزيد من الشهداء ، ويتصاعد عدد القنابل البشرية ، و تهزم هذه الإجراءات عرفات في محاولاته للسيطرة على المتطرفين" .

لقد كانت سياسة إسرائيل منذ إنشائها أن تقتل عشرة مقابل يهودي واحد ، وارتكبت بهذه السياسة مجازر بشرية ، ومن سوء الحظ يتولى الحكم هذه الأيام الزعيم الذي ارتكب أفظع الجرائم البشرية في السابق ، وقد ضحى الفلسطينيون بعدة آلاف من الرجال والنساء والأطفال لكن عزيمتهم وشوكتهم ، وشهامتهم وصمودهم ، واستعدادهم لمزيد التضحيات لم يخمد ، بل تصاعدت نشاطاتهم ، وقد تصاعدت هذه العمليات إلى حد أن كثيراً من الذين هاجروا إلى إسرائيل بدأوا يفكرون في العودة إلى بلدانهم السابقة ، ويعتبرون أنفسهم في خطر .

وقد اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أن إسرائيل لو استخدمت قبلة ذرية لما أخذت هذه الشرارة التي تلتهب وفي ضوء هذه التجربة ، إنه لمن الغباء السياسي ما يفكر به رئيس الوزراء الحالي ، وهو معروف بقسوته وشقاء نفسه أن يحطم صلب المقاومة بإبادة القوة الفلسطينية المسلحة ، والقضاء على السلطة الفلسطينية .

إن هذا التفكير الذي تمارس به إسرائيل وسائل القمع للرأي العام ، وللانتفاضة الشعبية ، تفكير ، تعززه عقلية الاعتماد على الوسائل ، وحرية ممارسة أساليب القمع ، و هكذا يفكر كل قوي في يده وسائل ، و قد مارس الغرب خلال عهد استعمار سائر هذه الوسائل لقمع حركات التحرير ، فقد قتلت فرنسا في الجزائر ، أكثر من مليون نسمة ، والاتحاد السوفيتي في

أفغانستان ، أكثر من مليون ونصف مليون ، علاوة على الخسائر الجسيمة للممتلكات ، واتباع سياسة الخرق ، والتعذيب الوحشي للمواطنين ، لكن البلدين حققا الحرية ، وخرجت القوتان من البلدين .

وتاريخ الأمم التي تحررت من الاستعمار ، يدل على انتصار الشعوب المستضعفة على الشعوب الاستبدادية ، فإن الاستبداد يضحّم المقاومة ، ويصعد عاطفة الانتقام ، وقد مرت أمريكا التي أصبحت اليوم سيد العالم بمثل هذه الظروف القاسية ، ويستطيع كل من له عقل ، أن يعرف البون الشاسع اليوم بين أمريكا ، وبين من كان سيدها في السابق .

إن السيد ؛ لا يبقى سيداً طول الدهر ، وآخر مثال لهذه الطبيعة ، طبيعة الانقلاب ، والاختلاف ، والتداول ، مثال من الاتحاد السوفيتي ، فإن عمليات الإبادة ، وتغيير الوضع الديموغرافي ، وتغيير الخريطة ، وفرض القيود التي جرت في تلك الأرض بعد فرض الحكم الشيوعي لا يوجد لها مثيل في التاريخ المعاصر ، وخاصة في المناطق التي كانت ذات الأغلبية الإسلامية ، واستمرت هذه السلسلة أكثر من سبعين سنة ، ولا تستطيع القوى الاستبدادية التي تمارس وسائل الإرهاب ، و القمع لإرادة الشعوب ، في بلدانها أن تمارس وسائل القمع أكثر ما فعله الاتحاد السوفيتي ، فإنه كان ثاني أكبر الدول في العالم ، بتقدمه في التكنولوجيا ، والوسائل المادية ، والمخابرات ، وتقدمه في وسائل التعذيب ، والتنكيل ، والبراعة في إنتاج هذه الوسائل ، وآلات التعذيب ، والخبرة في استخدامها ، وقسوة القلب لمن يمارس هذه العمليات ، وكانت الدول الاشتراكية والاستبدادية في العالم الآخر تقلد الاتحاد السوفيتي في هذه العمليات لإخماد الثورة ، وكبت أصوات المعارضين في بلدانها ، لكن نتيجة كل هذه السياسات الاستبدادية ، لم تكن إلا تفكك تلك القوة المستبدة نفسها ، بل تدمير اقتصادها ، وتفرق كلمتها ، وذهاب هيبتها ورعبها الذي كان سائداً على النفوس .

إن الذين ينعمون في هذا الخيال الساحر أن جيوشهم ، وقوتهم العسكرية ، وتفوقهم العلمي ، وذكاء قادتهم يضمن لهم الخلود ، و البقاء ، وإنهم سيبقون دائماً في موقف البطش ، و أن الذين يذلونهم ويستضعفونهم

مأساة عربية (موبلا)

بقلم : الأستاذ أنيس الجشتي (فونا)
ترجمة : الأستاذ يوسف عظيم الصديقي

الغرب بكافة أجهزته الإعلامية والاجتماعية يريد أن يقنع العالم بأكمله أنه جلب رسالة المحبة ، والإخاء الكونية ، وأنها "ظاهرة من كافة مظاهر العنف التي يتحلى بها تاريخ الأقوام والملل الأخرى ، سواء كانت هذه الأقوام من العرب أو المغول أو البربر ، ولكن الكثير من الوقائع التاريخية ، التي تدور حول مأساة "الإنسانية" أمام عدوانية ووحشية الغرب ، هذه الوقائع التاريخية دست بين صفحات التاريخ ، ولا يدري الشاب المسلم الشئ الكثير عن وقائع الظلم الذي ارتكب من قبل الغرب !

فمن هذه الوقائع واقعة "موبلا" الهندية ، والتي تماثل واقعة "دانشوي" المصرية في مجريات الحكم ، وتنفيذ القضاء ، ومظاهر التعسف ، فإليك تفاصيل و وقائع هذه المأساة .

في عام ١٩٢١م عندما كانت كافة أرجاء شبه القارة الهندية تسمع وتلبي نداء الحركة الوطنية - والتي سميت بحركة "سوديشي" (١) - والتي هدفت إلى تخليص البلاد من قبضة الإنجليز في ذلك الوقت بذاته كانت قبيلة

(١) تزعم هذه الحركة زعماء بارزون أمثال الزعيم "غاندي" ، و "جواهر لال نهرو" ، و "مولانا أبو الكلام آزاد" وغيرهم من الأعضاء البارزين في حزب المؤتمر الهندي آنذاك ، والذين هدفوا إلى تخليص البلاد من قبضة الإنجليز الجابرة .

سيقون أذلاء ، وضعفاء دائماً هم في مغالطة ، وسيبدد مغالطتهم المستقبل ، كما تبددت مغالطات الحكام المستبدين السابقين .

تقع في مختلف أنحاء العالم أحداث مماثلة ، لما يقع في إسرائيل ، وما وقع في السابق في الاتحاد السوفيتي أو في الدول الاستبدادية الأخرى ، وتواجه الشعوب التي تناضل للحرية ، ولحقوقها الأساسية ، أبشع أنواع الظلم ، من التعذيب ، وقتل الأبرياء ، ويعيش ملايين من المضطهدين في النقي ، ويعيشون كلاجئين ، وينال العاملون للإسلام النصيب الأكبر من هذه المعاناة حتى في بلدان يحكمها إخوانهم ، ولكن المعاناة لهما حدود ، كالقوة التي لها حدود ، في الزمان ، و في المكان ، مثل الإنسان مهما تكبر ، وتغطرس ، وتجبر له عمر ، كذلك النظم الاستبدادية لها عهد ، ولها حد ، وهذه سنة الله : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ .

إن هناك أنواعاً للإرهاب ، إرهاب فردي ، وإرهاب جماعي ، وإرهاب حكومي ، يلجأ إلى وسائل تسمى بالإرهاب من يواجه المجافاة ، والظلم لنيل حقوقه ، فيواجه إرهاباً أقوى من إرهابه ، من الذين يهضمون حقوقه ، لأن الذي يهضم الحقوق ، لا يهضم إلا إذا أوتي قوة لهضم الحقوق ، فيتخذ وسائل أقوى للإرهاب ، لكن هذا الإرهاب الحكومي يكسب لمهضومي الحقوق تأييداً شعبياً ، ودعماً ، من المستضعفين الآخرين ، فيستمر هذا الصراع ، ويشتد بدعم القوى المناصرة ، كما يحدث الآن في عدة قضايا عالمية تتعدى حدود أوطانها ، فتصبح القضية الوطنية قضية عالمية ، ولكن إذا عولجت تلك القضية بالإنصاف ، والحكمة ، والتفهم ، امتنع من يلجأ إلى الإرهاب عن إرهابه ، وهذا هو الطريق الحكيم لحل المشاكل ، لكن القدرة على استخدام وسائل القمع تسول لأصحابها أن يتخذوا طريق القمع ، وذلك ما يحدث في كثير من أنحاء العالم حين يناضل الناس لحقوقهم المشروعة ، ولكن لعدم فهم القادة لطبيعة المشاكل واحقاقهم في حلها تتضاعف المشاكل في العالم ، وتتعدد الأوضاع .

مسلمة من قبائل إقليم "كيرالا" تلاقي المر والصعب في سبيل مقاومتها
الحكم البريطاني .

"كيرالا" والإسلام :

ارتبط إقليم "كيرالا" بالإسلام والمسلمين عبر روابط متينة وقديمة
على مر العصور ، فقد انتشر الإسلام على ربوع هذه المناطق الساحلية قبل
مقدم فاتح السند محمد بن قاسم الثقفي بمدة لا تقل عن ثمانية عقود .
كافة المؤرخين متفقون أكد الاتفاق أن الإسلام أخذ مكائته في ولاية
"كيرالا" بسبب العلاقات التجارية التي ربطت الولاية بالتجار المسلمين .

ونعد البعض من الكثير فنجد مؤرخين أمثال ابن بطوطة المغربي ،
الشيخ عبد الحي الحسني (١) ، البروفيسور خليك أحمد النظامي ، المؤرخ
البارع السيد سليمان الندوي ، خواجه بهاء الدين الأكرمي ، كافتهم
متفقون أن السفن العربية مهدت الطريق لانتشار الإسلام في أنحاء ولاية
"كيرالا" .

كون التجار مائلين إلى الطابع السلمي لذلك اعتادوا على تقديم
فكرتهم - أي تبليغ ونشر دينهم - بأسلوب عملي وعلمي تاركين
الأسلوب السلبي ، ولعل هذا هو السبب وراء غياب العصبية الدينية تجاه
المسلمين في جنوب الهند ، و التي نلاحظ آثارها من وقت لآخر في شمال شبه
القارة الهندية .

في ولاية "كيرالا" ، الطبقة التي نالت القدر الأكبر من الاحترام
والتبجيل من قبل أفراد الطبقات الأخرى ، هي طبقة ناير التي تولت زمام
الحكم بيدها ، استفاد أفراد طبقة ناير من خدمات أفراد المجتمع الآخرين في

(١) والد العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) ، ومؤلف "نزهة الخواطر"
الموسوعة التاريخية عن أعلام المسلمين في شبه القارة الهندية .

ري وتحصيل أراضيهم الزراعية ، وبدل إقرار المجتمع الكثير من المشقة
والتعب في سبيل العيش ، و لما استتب الأمر للنايريين أمروا الفلاحين بإخلاء
الأراضي الزراعية ، وذلك من غير عوض مالي أو معنوي ، لذلك بات أفراد
طبقتي ناير و نمبودري من أفراد المجتمع المتصفين بالظلم والتعسف ، واستمر
النزاع بين الطبقتين لعدة قرون .

في هذا الوقت الصعب حل ربيع الإسلام على هذه الأراضي
القاحلة - اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً - و دخل أفراد الطبقة السفلى - وهم
أفراد الطبقة العاملة - في دين الله أفواجاً ، ورأوا ثمار المساومة والمساحمة
الإسلامية أوضح من شمس الظهيرة .

قبل دخول الإسلام ، اعتادت نساء الطبقة السفلى على ارتداء زي
يشبه القوطه ، والذي يغطي أسفل البدن تاركاً الصدر مكشوقاً ، والجزء
الإمامي للصدر مفتوحاً .

بعد دخول الإسلام ، نالت هذه النساء المكانة الرفيعة ، والوقار
الأمم ، وأرغمن على ارتداء اللباس الكامل .

كما اعتادت الزوجة أن يكون لها عدة أزواج ، وبعد وفاة الزوجة
لا ينقسم الميراث في أبناء الزوجة وزوجها ، بل اعتادوا على تقسيمها بين
إخواتها وأبنائها .

أخرج الإسلام هذه الطبقة من ظلمات الجاهلية ، ونال أفراد الطبقة
المكانة الرفيعة ، و إشارة لذلك صاروا يضيفون كلمة : MAHA ، و التي تعني
صاحب الشرف و الوقار العظيمين إلى لقبهم السابق : PILLA ، والذي يعني
الولد ، وتنطق - على حسب اللهجة المليبارية - MAPILLS .

حتى يومنا هذا يعتبر أفراد فئة MOPILLA من أفراد الطبقة السفلى ،
ويقطنون في جنوب مدينة "كاليكات" على مسافة ٢٥/كلم في قرى ، مثل :
"ملابورم" و "سر كدر" .

لثورة لأواصر المحبة والإخاء ، تزوج الوافدون من جزيرة العرب من كرمات القرية ، وسرعان ما ظهر مجتمع جديد في حيز الوجود . بعد دخولهم في الإسلام لم يتغير وضعهم المهني كثيراً ؛ فبقوا يخدمون أفراد طبقتي ناير ونمبودري ، و من حين لآخر يتلقون الأوامر الظالمة المهددة بالتخلي عن الأراضي .

حملات حيدر علي العسكرية :

عند ما ظهر والد "تیبو سلطان الميسوري" : حيدر علي كمغازي ، وهو محارب عظيم في ساحات الحرب الهندية ، لجأ أبناء هذه الطبقة يطلبون النجدة ، و المساعدة منه للتخلص من عدوانية الطبقتين المسيطرة : ناير ، ونمبودري .

تلبية لندائهم ، وضع حيدر علي - عام ١٧٦٥م - الخطط الحربية ، والتي هدفت إلى تلقين دروس قاسية لهؤلاء النايريين ، وتنفيذاً لذلك اختار الملك المغازي ، مدينة "منغلور" كمركزاً للسفن ، ومع مرور الوقت استطاع الملك المغوار السيطرة على "كنانور" "كاليكات" "بوناني" ، حتى خاض في ظلمات بحر العرب ، وسيطر على جزيرة "مالديب" .

هذه الحملة الخاطفة للأنظار والخيرة للعقول كانت مبعث سرور وطمانينة لمسلمي طبقة "موبلا" ، و لكنها في نفس الوقت جلبت الكثير من الأهوال والمصائب ، فللسيطرة على هذه المدن الساحلية لجأ حيدر علي للمساعدة الفرنسية ، وقصد إخضاع الإنجليز ، والناير معاً تحت حكمه .

ثورة واحتجاج عام ١٩٢١م :

لم يترك المتعصبون آنذاك أن تذهب الفرصة سدى لذلك أعطوا الحملة العسكرية الطابع الديني ، وفي عام ١٩٢١م حلت الكارثة العظمى عندما استرد النمبودريون - الطبقة الحاكمة - الأراضي من موبلايين - الطبقة العاملة - و ذلك من غير مقابل مالي - الأسلوب الذي اعتادوا عليه منذ فترة طويلة - .

احتجاجاً على ذلك أعلن الموبليون ثورة ضد أصحاب الأقطاع الغاصبين . كَوْن النمبودريون من أعوان وحلفاء الإنجليز ، فكان مقدار البلاء على المسلمين أعظم ، عينت الحكومة البريطانية فرقة "كور كهيا" (عصابات) للمراقبة على نشاطات الفلاحين المسلمين ، ورداً على ذلك تسلح الموبليون ، واستطاعوا الحفاظ على مناطقهم - الشاسعة على مسافة ٣٠٠/كلم مربع ، واستخدم سلاح محلي يدعى MALLAPURAM KATHRI لإسقاط رقاب جنود الإنجليز من قبل محاربي القبيلة المتسلقين على الأشجار الباسقة ، بعد استمرار معارك حامية الوطيس لمدة تناهز شهراً كاملاً منيت القبائل الإسلامية بخسارة فادحة ، وهزيمة نكراء .

بعد الانتصار الإنجليزي أعلن الإنجليز قتل أفراد القبيلة علاناً و جهاراً ، وأن الحرب قُصد بها التخلص من النمبودريين و النايرين من جهة ، و من تسلط الإنجليز من جهة أخرى ، لذلك بات المسلمون هدفاً من كلا الجهتين ، وانتهكت حرمان النساء العفيفات على مشهد من الناس ، وحتى أعتدي على الأطفال ممن لقوا نصيبهم من الإجراءات التعسفية .

كون هذه المنطقة تابعة لرئاسة مدراس البريطانية BRITISH MADRAS PRESIDENCY لذلك قبض على ١٥٠/مجاهد الذين أرسلوا إلى مدينة "مدراس" للمثول أمام قضاة المحكمة الإنجليزية بمدراس . مأساة عربية "موبلا" :

والطريقة التي اختيرت لإرسال هؤلاء الناشدين للحق ، والإنصاف ، ترق بها أقسى القلوب والأفئدة . أمر المجاهدون أن يدخلوا في إحدى عربات القطار التي كانت رابضة على محطة مدينة "ترور" TIRUR هذه العربة كانت مخصصة لنقل الأدوات الصحية ، مثل : البلاط والأحجار ، بعد إدخال ١٥٠/مجاهداً في

هذه العربة المصفحة بالحديد ، أغلقت أبواب العربة من الخارج ، و اتجه القطار إلى مدينة "مدراس" في رحلة تستغرق مدة لا تقل عن ثلاثة أيام . هذه العربة لم تكن صالحة لثلاثين راكباً مع أنها أقلت ثلاثة أضعاف القدر المسموح .

يمكن للقارئ الكريم تصور البلاء والمحنة التي ذاقها هؤلاء المجاهدون المائة والخمسون في طقس بالغ الحرارة ، و ظلام دامس ، و غياب أي نافذة لدخول الهواء ، من المستحيل الحصول على الغذاء أو الماء في هذا الوضع المخرج البالغ الآسي ، يمكن وصف هذه العربة بالقبر الفولاذي الزاحف على مدرجات الحديد ، وفي هذا القبر كانت ١٥٠/جثة حية تتلقى أسوأ مظاهر العنف والعدوانية في تاريخ البشرية .

بسبب الاختناق التنفسي مع الظلام الدامس لجأ هؤلاء الأبرياء المجاهدون إلى شرب دماء وأبوال رفقاتهم وزملائهم في تلك العربة . بعد مرور ثلاثة أيام وصل القطار محطة سيلم بمدراس ، ونظراً للاختناق النفسي ، و ضيق المكان لقي خمسة وستون مجاهداً حتفهم ، و البقية الباقية كانت حالتهم العقلية والنفسية أسوء من المجانين .

مثل هؤلاء المجاهدون في مدينة "مدراس" أمام قضاة السلطة البريطانية ، وأصدر حكم إعدام الكثير ، وأرسل الباقون إلى جزيرة "كالاباني" (المنفى الأسود) .

نجد إلى يومنا هذا معالم وآثار بطولات وجولات هؤلاء المجاهدين في جزيرة "اندمان" ، واللغة المليارية . هي اللغة المستخدمة في جزيرة "اندمان" . قاد هذه الانتفاضة العسكرية - التي بقيت وقائعها مجهولة ، في صفحات التاريخ البشري (وي ريم كنت كنجو محمد حاجي) وي . ريم كنت يشير إلى اسم العائلة أو العشيرة التي ينتمي إليها ، و كلمة كنجو تعني - في اللغة المليارية - الصغير .

في بعض الأحيان لا تؤدي ذاكرة الأمم والقبائل دورها المنشود ، فبعد مرور أكثر من خمسين عاماً على استقلال الهند يتذكر أبناء ولاية "مدهيابراديش" قبائل (Bisra) ، و (Munda) الغير الحضارية ، وذات النظرة السطحية ، يتذكر أبناء الولاية من تلك القبائل ، وتعد احتفالات لإحياء ذكرى هذه القبائل ، يطلب العفو مراراً وتكراراً من قبل الغرب بشأن قضية "بليك هول" البنغالية ، ومع ذلك لا يتذكر أحد حوادث ، و وقائع هذه المأساة الفظيعة من أجل الحرية .

ومن دواعي السرور والطمأنينة أن حكومة ولاية "كيرالا" قد أقرت بهذه المأساة التي كانت نتيجة جهود مخلصه تجاه التخلص من الحكم البريطاني الغاشم ، ذكر -المستول في الحكومة البريطانية آنذاك- أن هذه الحركة الثورية إنما كانت احتجاجاً وانتقاماً من قبل الفلاحين تجاه أصحاب الإقطاع . لعل أسماء هؤلاء المجاهدين تأخذ مكانتها اللائقة لدى عقد الاحتفالات الخمسينية لولاية "كيرالا" .

المراجع :

- (١) موسوعة برتانيكا ، ط/٩ و/١٠ . (٢) برتانيكا مانيكرو وميكرو ميديا ، ط/١٥ .
- (٣) ياد أيام -للشيخ عبد الحي الحسني .
- (٤) الهند في العهد الإسلامي -للشيخ السيد الشريف عبد الحي الحسني .
- (٥) العرب وديار الهند (بالأردنية) -خواجه بهاء الدين الماكري .
- (٦) علاقات العرب والهند (بالأردنية) -السيد سليمان الندوي .
- (٧) LOGAN'S MANNUAL. (٨) WEBSTOR'S ENCYCLOPAEDIA. (٩) BRITANICA MAPS, Vol.IX Edl.
- (١٠) سررة السلطان تيبو الشهيد (بالأردنية) -محمد إلياس الندوي .
- (١١) آئينه حقيقت نما -للشيخ أكبر شاه خان .
- (١٢) إسلامي هند كى عظمت رفته -للقاضي أطهر المباركفوري .
- (١٣) أحاديث ولقاءات مع مسلمي ولاية "كيرالا" .

من قصيدة درة الأقي

للشاعر الملهم ، د/عدنان علي رضا النحوي

ضَمِنِي يَا أَبِي إِلَيْكَ ! فَإِنِّي خَائِفٌ ! وَ الرَّصَاصُ حَوْلِي شَدِيدٌ
 ضَمِنِي ! وَ اجْنِي ! فَمَا زَالَ يَنْصَبُ سَبْعَ عَلَيْنَا رِصَاصَهُمْ وَيَزِيدُ
 ضَمِنِي ! ضَمِنِي ! وَ لَيْسَتْ جِيَانَا إِنْ عَزَمِي ، كَمَا عَلِمْتَ ، حَدِيدٌ
 أَنَا مِنْ أُمَّةٍ بَنَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - وَ الْوَحْيُ وَ الْكِتَابُ الْمَجِيدُ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الطَّفُولَةِ تَدْمِي جِرْحَهَا ، دَافِقٌ وَ قَلْبٌ يَجُودُ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الْبِرَاءَةِ يَدْمِي قَلْبَهَا مَجْرِمٌ ، طَغَى وَ عَبِدُ
 الْمُرُوءَاتِ بَيْنَهُمْ سَقَطَتْ فِي الْوَجْدِ لِي وَ أَلْقَاهُ جَرْمِهِ الْمَشْهُودُ
 كَيْفَ لَمْ تَشْفَعْ الْبِرَاءَةَ مِنْ عَيْبِهِ نِيهِ وَ الْخُوفُ وَ الرَّجَا وَ الْعَهْدُ ؟
 يَا حَنُ الْآبَاءِ ! يَا لَهْفَةَ الْأَمِّ تَنَادِي أَيْنَ الْأَبَاةِ الصَّيْدُ ؟
 أَنْشُرُوا فَوْقَهُ الرِّيَاحِينَ وَ الْبُورُ دَفْتَرُكَو عَلَى دِمَاةِ الْوَرُودِ
 وَ أَحْيُوا جَنَمَانَهُ بِجَنَانِ طَابَ مِنْهُ حَنَانُهُ الْمَعْهُودُ
 وَ اسْكَبُوا فَوْقَهُ النَّدَى مِنَ الطَّيِّبِ سَبْ فِكْمِ فَاحِ طَيْبِهِ وَ الْعُودُ
 وَ انْسَجُوا مِنْ دِمَائِهِ خَلَلَ الْمَجْرَدِ يَدِ عَلَيْهَا لَآلِي وَ عَقُودُ
 أَنْزِلُوهُ عَلَى الْأَكْفِ لِرُوضِ رَفِ فِيهِ النَّدَى ! فِهَذَا الشَّهِيدُ
 لَسْتَ أَبُوكَ وَ حَدَّكَ الْيَوْمَ لَكِنْ كَلَّ طِفْلٌ أَنْشُودَةَ وَ قَصِيدُ
 أَوْ فَتَى هَبْ وَ الْمَلَا حِمَّ أَمْبُوا ج وَ دَفَقِ الدَّمَاءَ فَيُضِ وَ جُودُ
 يَا دِيَارَ الْإِسْلَامِ ! يَا عَبْقَ الْمَسْ ك فَمَغْنَاكَ جُودَةَ وَ شَهِيدُ
 أَيُّهَا الطِّفْلُ ! أَنْتَ نَفْحَةُ طَيْبٍ وَ رُؤْيُ أُمَّةٍ وَ فَتْحُ حَدِيدٍ !
 أَنْتَ أَنْشُودَةُ الزَّمَانِ ! وَ مَعْنَى عَيْقُرِي بِهَا ! وَ لَحْنُ فَرِيدٍ !
 كَلَّ جِرْحُ عَلِيٍّ مَحْيَاكَ مَسْكَ نَشْرَهُ رُوحَ جَنَّةٍ وَ خَلِيٍّ وَ جُودُ
 دَمِكَ الْحَرِّ ! يَمَلَأُ الْأَفْقَ بُورًا لَمْ يَزَلْ دَفَقَهُ الْغَنِيُّ يَزِيدُ
 دَمِكَ الْحَرِّ ! قَطْرَةٌ مِنْهُ يَجْلِي بَيْنَ أَنْوَارِهَا الْكَمِيُّ النَّجِيدُ
 دَمِكَ الْحَرِّ ! قَطْرَةٌ مِنْهُ تَجِي أُمَّةٌ تَعْتَلِي الذَّرَا وَ تَسِيَّبُودُ
 دَمِكَ الْحَرِّ ! قَطْرَةٌ مِنْهُ تُوْفِي بِلَهَيْبِ عَلِيٍّ الْبَطَّاحِ يَعُودُ

((حياة مفكر الإسلام))

قلم التحرير (س.أ)

صدر كتاب جديد باللغة الأردنية ، حول حياة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي (رحمه الله) بقلم حفيده الأخ الفاضل الأستاذ بلال عبد الحمي الحسيني الندوي ، بعنوان : (حياة مفكر الإسلام) وهو كتاب قيم يحتوي على ترجمة حياة مفكر الإسلام العلامة الندوي احتواءً كاملاً ، ويصور شخصيته من خلال أعماله وخدماته ونشاطاته الدعوية والفكرية ، ويمثل وجهات نظاره حول العمل الإسلامي .

استعان المؤلف في ترتيب أبواب الكتاب وفصوله بترجمة حياة العلامة الندوي ، التي ألفها بقلمه في حياته في سبعة مجلدات ، باسم : (كاروان زندكي) ، و نقلت إلى العربية باسم : "في مسيرة الحياة" ، إنه جمع في هذا الكتاب معلومات مفيدة جداً ، تكون زاداً للحياة العلمية والدينية والدعوية لكل من يظالعه ، ولا شك فإن حياة الراحل الكريم العلامة الندوي إنما هي بمثابة منارة ضوء على الساحل ، فهي لا تخلو من تجارب عملية تحمل فوائد حمة يستفيد منها القارئ ، ويجد فيها مواد دسمة لبناء المستقبل اللامع .

وجانب مهم ركز عليه سماحة العلامة الندوي (رحمه الله) هو خدمة الإنسان وتذكيره بوظيفته ومسئوليته وإنقاذه من التردى في المطامع والأهواء النفسية ، والمصالح الذاتية ، فقد بذل سماحته مجهودات ضخمة في هذا المجال باسم : "رسالة الإنسانية" ، و عقد لهذا الغرض اجتماعات مختلطة في طول البلاد وعرضها كانت تضم جماعات من المثقفين الكبار والوجهاء من جميع الطوائف ، وقد استرعت انتباه غير المسلمين بوجه خاص ، ممن أقاموا لهذه الحركة وزناً كبيراً ، وأثنوا على مؤسسها ثناءً بالغاً .

يتحلى الكتاب بمقدمة قيمة بقلم سعادة الدكتور الشيخ عبد الله عباس الندوي ، مستشار التعليم في جامعة ندوة العلماء ، كما أن سعادة الرئيس العام لندوة العلماء الشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي قدم للكتاب بكلمة مستفيضة تلقى ضوءاً لامعاً على مكانة العلامة الندوي (رحمه الله) من أيام صباه إلى أيام العمل الدؤوب في مجال الدعوة والفكر الإسلامي ، وتحدث فيها عن العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته ومستقبله .

نهى المؤلف الشاب الصالح الأخ الأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي على هذا العمل التأليفى ، ونجاحه في عرض هذه الصورة المشرقة لحياة مفكر الإسلام رحمه الله ، وندعو الله سبحانه أن يتقبل عمله ، ويوسع نطاق نفعه ، ويجعله طليعة لأعماله العلمية والدعوية في المستقبل ، بمشيئة الله تعالى .

إلى رحمة الله تعالى :

أسرة صالحات ، في ذمة الله تعالى

نعى إلى قرانتنا الكرام والدة الأخ الكريم الوجيه الفاضل ، مظفر كولا في مدينة بهتكل بولاية كرناتكا ، الهند ، حيث توفيت والدته العزيزة في ليلة الجمعة الماضية ١٩/ من شهر جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ، الموافق ١٠/ من شهر أغسطس ٢٠٠١م ، وذلك بعد معاناة طويلة من المرض ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولقد سهر جميع أولاد المرحومة على خدمة أمهم بدافع مخلص من الحب والفداء لها ، فقد كانت بركة قائمة في الأسرة ، وقامت بتربية الأولاد على خلال من الإيمان والعمل الصالح ، مما كان له تأثير ظاهر في حياة أفراد الأسرة بكاملهم ، صليت عليها صلاة الغائب في جامع دار العلوم ، ندعو الله سبحانه أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويجعل آخرتها خيراً من الأولى ، ويلهم جميع أعضاء الأسرة الصبر والسلوان .

= وكذلك والدة فضيلة الشيخ عبد العليم من البلد نفسه ، لحقت بالرفيق الأعلى في نفس التاريخ والوقت ، وكانت طريجة الفراش منذ مدة ، تركت وراءها أسرة حافلة بالأولاد والحفاند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وفضيلة الشيخ عبد العليم القاسمي تربي تحت رعايتها فأكرمه الله تعالى بمستقبل لامع ، وهو الآن نائب الرئيس للجامعة الإسلامية في مدينة باتكل ، التي تعتبر من أقوى فروع دار العلوم لندوة العلماء ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد الفقيدة برحمته الواسعة ، ويغفر زلاتها ، ويسكنها فسيح جناته ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

= كما أن والدة الأستاذ محمد نصير خان (الموظف في مكتب الأمين العام لندوة العلماء فضيلة الشيخ محمد حمزة الحسني الندوي) ، توفيت فجأة من غير مرض مسبق ، في قريتها بمديرية بلرامفور ، الهند ، وذلك في ٢٤/ من شهر يوليو ٢٠٠١م ، المصادف ٢/ من شهر جمادى الأولى ١٤٢٢هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . كانت الفقيدة ذات ورع ودين ، وقد قامت برعاية الأولاد والأسرة خير قيام ، جزاها الله تعالى عن الجميع خير جزاء ، وغفر لها زلاتها ، وأدخلها فسيح جناته ، وأهم ذويها الصبر والسلوان .

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0522-787310

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكاناؤ (الهند)
ص. ب ٩٣
هاتف : ٧٨٨١٦٦-٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٧٨٧٣١٠-٥٢٢

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم !

حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فلتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/ علماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، ويتكلفتها باهظة ، وهي بأمر حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومدني منكم ، وببئذ شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من

أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص. ب ٩٣ - مؤسسة لصحافة والنشر

ندوة العلماء - لكاناؤ (الهند)

بالعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص. ب ٩٣

لكاناؤ (الهند)